الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية– أدرار



الكلية : العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الاسلامية القسم : العلوم الإنسانية

الشعبة : التاريخ التخصص : تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء

الرقم التسلسلي : الرمز :

أفريقيا جنوب الصحراء في كتابات الرحالة المسلمين في العصور الوسطى القرن 8هـ/14م – ابن بطوطة أنموذجا –

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء

إعداد الطالب: إشراف الدكتور:

رمضان هداجي مبارك جعفري

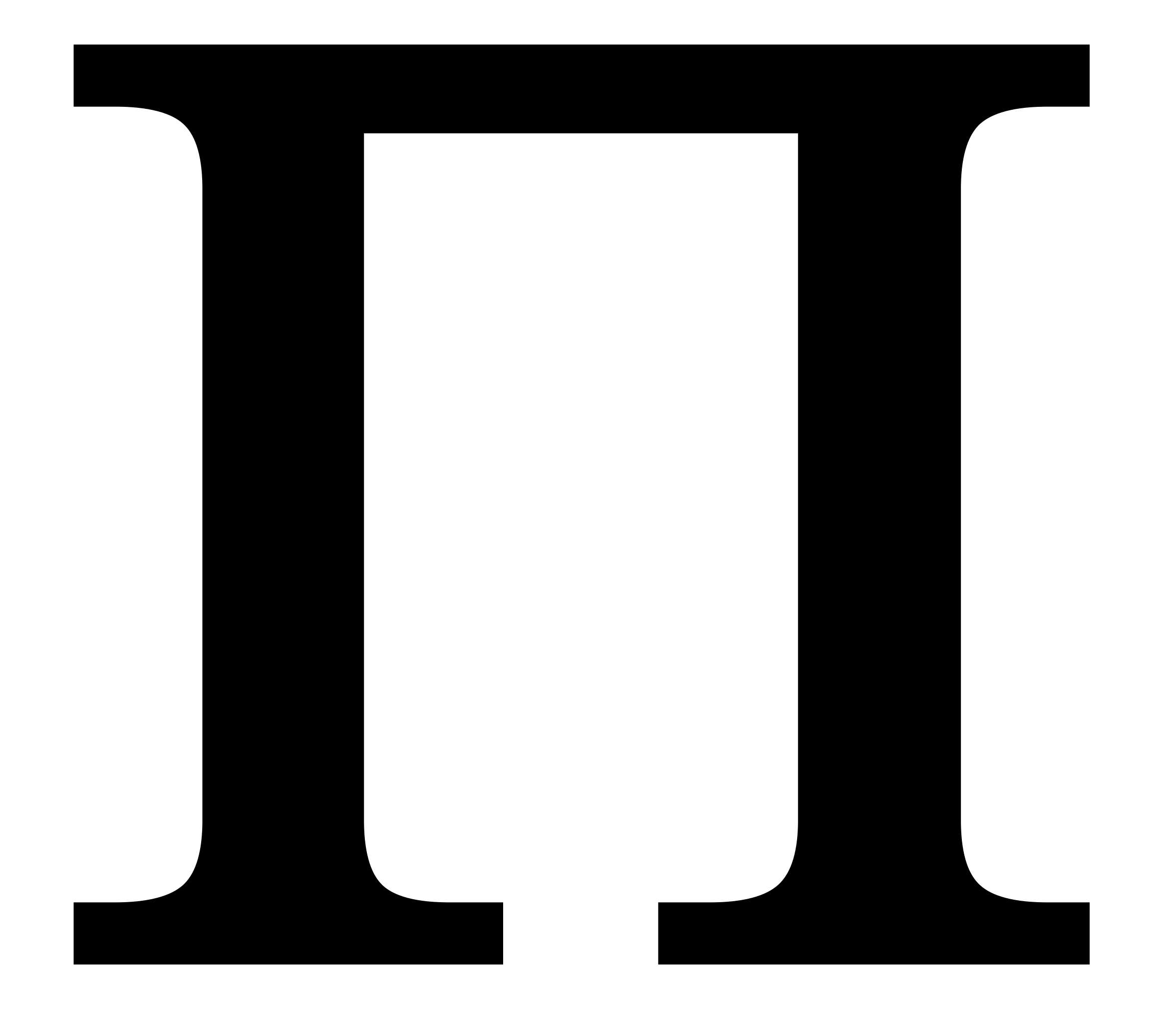
لجنة المناقشة:

الدكتور: عبد الله بابا...رئيسا

الدكتور: مبارك جعفري..مشرفا ومقررا

الدكتور: عبدالسلام كمون...ممتحنا

السنة الجامعية : 1439–1440هـ/2018–2019م



إهداء

إلى الوالدين الكريمين بارك الله لي فيهما وأطال عمرهما في طاعته .

إلى الزوجة والأولاد والإخوة والأخوات وجميع أفراد العائلة.

إلى كل الأقارب والأصدقاء، خاصة أصدقاء العمل، وزميليَّ في الدراسة

عبد الوهاب علالي ، وعبد العزيز أقرابو.

أهدي ما وفقني الله لإنجازه .

شكر وعرفان

الحمد لله المبتدئ بحمد نفسه قبل أن يحمده حامد والحمد والشكر لله الذي وفقني لهذا العمل وأعانني على إنجازه.

ولأن من لم يشكر الناس لم يشكر الله فلا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر للأستاذ المشرف "مبارك جعفري" على توجيهاته ونصائحه القيمة، وتقديم يد العون لي، والشكر موصول أيضا إلى كل من درسوني وساعدوني في إتمام هذا البحث سواء توجيها أو مناقشة، الأساتذة: " عبدالرحمن بعثمان، أحمد الحمدي، أحمد بوسعيد، بلال صديقي، عبدالله بابا، عبدالسلام كمون"، وإلى جميع طاقم ثانوية المجاهد جبابري أمحمد برقان، وخاصة الأستاذين ناظر الثانوية عبدالفتاح لعروسي والأستاذ عبدالقادر عبادو، وإلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد.

ونرجوا من الله التوفيق والسداد

المقدمــــــة

اهتمت كتب التاريخ والرحلات بدراسة تاريخ شمال أفريقيا، ومعرفة أصول تكوين تركيبة سكانه البشرية، وأحوال شعوبه في شتى المجالات؛ بينما ظلَّ الجزء الجنوبي من نفس القارة مجهولا عند كثيرا من المؤرخين لأنْغِلاقِ شعوبه على العالم، وانتشار الجهل بين قبائله، فلا نكاد نجد كتابات مفصلة عن أحوال هذا الجزء ولا اتصال لشعوبه بالعالم الخارجي قبل الإسلام، وإن وجدت فمعظمها لا تتعدى حدود الإفتراض، وهو ما رجح مقولة أن هذه الشعوب بدائية لاتعرف للحضارة طريق.

بدأ الرحالة العرب في اكتشاف قارة أفريقيا منذ انتشار الإسلام في الشمال الأفريقي، واهتموا بتاريخ شعوب أفريقيا جنوب الصحراء دون غيرهم من شعوب القارة، فجابوا مناطق واسعة من بلادهم، ودونوا أهم مظاهر الحياة الدينية والإقتصادية والثقافية والتاريخية والحضارية فيها، فكان وصفهم لها أهم مصادر التعريف بهذه المنطقة حتى بداية عصر الاكتشافات الحديثة .

ومن أشهر الذين اعتنوا بدراسة تاريخ هذه المنطقة الرحالة المغربي ابن بطوطة، الذي قادته الرحلة في (ق8هـ/14م) للقيام بجولة طويلة جاب خلالها معظم البلاد المعروفة في زمانه ومنها أفريقيا جنوب الصحراء، وسَجَّلَ مشاهداته عنها بأمانة وصدق حسب المستشرق الكبير دوزي، حين حرص على نقل معلومات قيمة وجديدة عن شعوب وصفوا أنهم مهملين لادين يُوَجِّهُهُمْ ولاشريعة يَتْبَعُونَهَا ولا حتى نظاما يَحْكُمُهُمْ، فأعطت كتاباته للعالم صورة حضارية مشرقة عن تأثير الإسلام في شعوب شرق وغرب القارة وتأثرهم به وتعلقهم بمعتقداته، وهو ما أنعكس على شتى مجالات وميادين الحياة في بلادهم، دون نفينا لوجود بعض العادت الوثنية في بعض مناطق غرب أفريقيا .

ويرجع اهتمامي بالموضوع لاعتبار أن ما دونه هذا الرحالة عن هذه المنطقة بعد الإنفتاح الحضاري الذي شهدته شعوبها في (ق8هـ/14م) كان دقيقا وخَلَى من كثير من الروايات التاريخية والتجاوزات العقلية التي فشت في الأقسام الأخرى من رحلاته، إضافة لأنَّه قدَّم حقائق غَفِلَ عنها كثيرا ممن سبقوه في الكتابة عن المنطقة، خصوصا ما تعلق منها بالجانب الإجتماعي، والثقافي، وحتى العمراني أين تجلَّى الأثر العربي الإسلامي في قصور سلطنات وممالك أفريقيا جنوب الصحراء .

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية الموضوع في تلك المظاهر الحضارية التي بلغتها شعوب أفريقيا جنوب الصحراء، من تطور وازدهار ورقيٍّ في مختلف ميادين الحياة، ينبئ عن ذروة العظمة التي وصلتها سلطنتي مقديشو وكلوه ومملكة مالي الإسلامية بفضل تعلُّق شعوبها بالإسلام وانتشار العدالة في أوساط مجتمعاتهم،

ومشاركة السلاطين لاحتفالات شعوبهم وأفراحهم إضافة لحياة الرفاهية التي نعمت بها هذه المنطقة المتمثلة في الثروات النفيسة التي كانت تزخر بها أراضيهم، من خلال ما دونه الرحالة ابن بطوطة عن هذه البلاد الأفريقية فيما وراء الصحراء .

إشكالية البحث:

إن موضوع أفريقيا جنوب الصحراء في كتابات الرحالة المسلمين في العصور الوسطى – ابن بطوطة أنموذجا – يعد موضوعا في غاية الأهمية، خاصة إذا علمنا أن دراستنا له تهدف إلى معالجة الأثر البارز الذي نقله ودونه الرحالة العرب عن كتاباتهم لهذه المنطقة، وابن بطوطة يعتبر أحد هؤلاء الرحالة، الذي قادته الرحلة لهذه البلاد الأفريقية في (ق 8هـ/14م)، وأظهرت كتاباته عن مدى التقدم الحضاري والإزدهار العمراني الذي بلغته شعوب هذه المنطقة، بفضل العلاقات المتينة التي كانت تربط شعوب المنطقة بالعالم العربي الإسلامي، ومن هنا نطرح الإشكال الأتي: من هو الرحالة ابن بطوطة ؟ وفيما تمثلت كتاباته أثناء رحلته حول أفريقيا جنوب الصحراء؟ وكيف ساهمت هذه الكتابات في تدوين تاريخ شعوب هذه المنطقة الحضاري؟ وإلى أي مدى أبرزت تلك الكتابات تأثر شعوب هذه البلاد بالعالم الإسلامي في بلاد المشرق والمغرب الإسلاميين؟ .

منهج الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة منهج البحث التاريخي المقارن الذي اعتمدت فيه على وصف المظاهر الحضارية وتحليلها ونقد الحوادث التاريخية مع الألتزام بالترتيب الموضوعي ومراعاة التسلسل الزمني للأحداث، إضافة لاستقراء بعض كتب الجغرافيا والرحلات والتراجم لتحديد الأماكن والمواقع والتعريف بالشخصيات، وحرصت على جمع المادة التاريخية وربطها بالأحداث وفق الظروف السياسية والإقتصادية والإجتماعية التي سادت المنطقة من خلال ما كتبه ابن بطوطة، ومقارنتها أحيانا بكتابات سابقة تناولت نفس المادة لتصحيح الأخطاء وتثبيت الوقائع التاريخية بكل موضوعية وبعيدا عن الذاتية .

خطة الدراسة:

قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة على النحو التالي :

الفصل الأول "ابن بطوطة وكتابات الرحالة المسلمين حول أفريقيا جنوب الصحراء"، والذي جزأته لمبحثين تناولت في المبحث الأول منه التعريف بابن بطوطة ورحلاته، حين تطرقت لنشأته

وحياته الشخصية، وكذا رحلاته باختصار مع التركيز على خَطِّ سير رحلته إلى أفريقيا جنوب الصحراء التي هي أساس بحثنا .

بينما المبحث الثاني من نفس الفصل والذي يعتبر تمهيدا للفصل الثاني فخصصته لتقديم تعريف وجيز لمنطقة بأعين المؤرخين العرب، إضافة لعينة من كتابات بعض الرحالة المسلمين الذين سبقوا ابن بطوطة في الكتابة عن هذه المنطقة بداية من (ق3هـ/9م) وصولا إلى (ق8هـ/14م) .

الفصل الثاني "المظاهر الحضارية في شرق أفريقيا جنوب الصحراء"، وهو صُلْبُ موضوعنا المباشر مع غرب أفريقيا، تناولت فيه لبعض المظاهر الحضارية في شرق أفريقيا، وكانت سلطنتي مقديشو وكلوه نموذجا للدراسة لإعتبار أن الرحالة خصَّهما بوصف مميزا وفريدا بخلاف مدينتي زيلع وممبسه .

الفصل الثالث "المظاهر الحضارية في غرب أفريقيا"، واقتصرت دراستنا على مملكة مالي الإسلامية تقريبا، لأن هذه الرحلة في حد ذاتها كان الهدف منها مملكة مالي، التي كانت تعتبر أعظم ممالك غرب أفريقيا، وبَلَغَ صْيتُها شتى أصقاع العالم، وضمت دول السنغال وغامبيا وشمال بوركينافاسو وغرب النيجر وجنوب موريتانيا وشمال غينيا وبعض أجزاء غانا في وقت زيارة ابن بطوطة لها .

الدراسات السابقة:

تباين اهتمام الباحثين في مجال الرحلات بكتابات ابن بطوطة عن أفريقيا جنوب الصحراء، بين غرب القارة التي أُلِفَتْ فيها الكتب والأبحاث الكثيرة المهتمة بالجانبين السياسي والإقتصادي، وشرقها التي ظلت الدراسات فيها محدودة، لِشُحِّ المادة العلمية وعزوف الكثيرين في الكتابة عنها؛ وعلى الرغم من ذلك كانت هناك محاولتين قام بها باحثين اهتما بهذه الرحلة، كان أشملها مرجع من تأليف محمود فتحي في أصله أطروحة دكتوراه مسومة "ابن بطوطة في بلاد السودان"، تناول فيه الباحث مختلف المظاهر الحضارية لسلطنات وممالك أفريقيا جنوب الصحراء من خلال رحلة ابن بطوطة .

أما الدراسة الثانية فاختصت فقط بمنطقة السودان الغربي بعنوان "تاريخ السودان الغربي في نظر ابن بطوطة وابن خلدون"، رسالة ماجستير صادرة عن المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة 1423هـ/2002م، أعدها الأستاذ دجيبو سايبو تناولت بشكل عام ومختصر مظاهر الحياة الحضارية في السودان الغربي .

وأعتمدت على مجموعة مصادر أهمها: كتاب رحلة ابن بطوطة في طبعتين، طبعة أساسية شملت جميع فصول البحث، وأخرى ثانوية حققها الأستاذ عبد الهادي التازي رحمه الله، استعنت بها في

الملاحق لأن المحقق خصَّص لكل رحلة خَطَّ سيرها، والمدن التي شملتها، إضافة لمصادر ثانوية وظفتها تارة كمقارنة بين كتابات الرحالة المسلمين وما جاء فيها من تشابه واختلاف مع كتابات ابن بطوطة، ونذكر منها: "صبح الأعشى"، للقلقشندي الذي رغم أن كل مادته كانت منقولة؛ إلا أن كتاباته كانت مرتبة ترتيبا جيدا، إضافة لكتاب"مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" للعمري، فيما يخص مملكة مالي، وتارة أخرى عند التعريف بأسماء الشخصيات والمدن والأماكن ، ونذكر هنا "الإحاطة في أخبار غرناطة" للسان الدين بن الخطيب، و"معجم البلدان" لياقوت الحموي .

إضافة لمجموعة مراجع أهمها: "تاريخ الأدب الجغرافي العربي" للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي، و"أدب الرحلات في العصر المريني" للأستاذ الحسن الشاهدي، عند تعريفنا بحياة ابن بطوطة، و"كتاب تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء" للنوري دريد عبد القادر، و"رحلة مع ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وأفريقيا" لمحمود الشرقاوي، و"ابن بطوطة في بلاد الإسلام" لصاحبه إبراهيم العدوي، أفادتنا كثيرا في تبسيط هذا البحث دراسة وتحليلا ونقدا، حيث كانت معظم مادتها الأساسية دراسة الجوانب الحضارية في رحلة ابن بطوطة .

صعوبات الدراسة:

إن من الصعوبات التي واجهتنا أثناء البحث قِلَّةِ المصادر والمراجع التي تناولت شرق أفريقيا، لدرجة أن دراستنا اقتصرت على مصدر الرحلة مع بعض المراجع المحدودة، ويرجع سبب ذلك لإغفال المؤرخين تدوين الكثير من الحوادث التي وقعت في هذه المنطقة في تلك الفترة، مقارنة بغرب أفريقيا التي أهتمت الدراسات كثيرا بتاريخها الإسلامي، وكان دافعهم الثراء الذي شهدته مملكة مالي مع منسا موسى بعد حجته الشهيرة سنة 1324م، التي رافقه فيها الكثير من الحاشية والعبيد والخدم، ووصل صداها إلى أوروبا وأرض الحجاز التي زارها محملا بالمعادن الثمينة في وقت كان العالم يشهد أزمة اقتصادية حقيقية .

وفي الأخير نتمنى أن تكون هذه الدراسة إضافة جديدة لمجال البحث العلمي للتاريخ الحضاري الإسلامي لأفريقيا جنوب الصحراء ودافعا لدراسات أعمق فيها، ولايسعني إلا أن أوجه الشكر للأستاذ مبارك جعفري صاحب فكرة إنجاز هذا الموضوع، راجيا من الله عز وجلا أن أكون قد وفقت في الإلمام بجلِّ جوانبه، كما لا أنسى شكري لكل الذين أعانوني في إنجاز هذا البحث سواء أساتذة قسم التاريخ أو غيرهم من الأصدقاء والزملاء، والله ولي التوفيق .

الفصل الأول:

"ابن بطوطة وكتابات الرحالة المسلمين حول أفريقيا جنوب الصحراء "

المبحث الأول: "التعريف بابن بطوطة ورحلاته"

1- مولده ونشأته .

2- حياة ابن بطوطة الشخصية .

3- رحلات ابن بطوطة عامة .

4- خط سير رحلة ابن بطوطة لأفريقيا جنوب الصحراء .

المبحث الثاني: " كتابات الرحالة المسلمين حول أفريقيا جنوب الصحراء قبل رحلة ابن بطوطة" .

1 - تعريف أفريقيا جنوب الصحراء عند المؤرخين العرب .

2 - نماذج لكتابات رحالة مسلمين مابين القرنين (3-8هـ/9-14م) .

المبحث الأول: التعريف بابن بطوطة ورحلاته.

1- مولده ونشأته :

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم، بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف، اللواتي الطنجي، المكنى أبا عبد الله والمعروف بابن بطوطة[1]، والملقب في البلاد الشرقية بشمس الدين[2]، واسم ابن بطوطة هذا ليس جزء من اسمه وإنما شهرته، ولا يزال هذا الاسم معروفا حتى الآن في المغرب[3]، وقد اثبت صحة نطق الاسم بتشديد الطاء بصفة قاطعة المستشرق A.Fisher[4]

ولد هذا الرحالة في مدينة طنجة المغربية، حسب ما ذكره ابن جزي[5]، في مقدمة الرحلة، نقلا عنه، فقال: "أخبرني أبو عبد الله بمدينة غرناطة أن مولده كان بطنجة يوم الإثنين السابع عشر من شهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبعمائة"[6]، ويؤكد صحة هذا المولد عند خروج الرحالة من مسقط رأسه للحج في ريعان شبابه سنة 725هـ/1325م وهو ابن الثانية والعشرين من عمره.

ولقب ابن بطوطة بعدة ألقاب أشهرها الطنجي اللواتي[7]، فالطنجي نسبة إلى مكان مولده بمدينة طنجة المغربية. واللواتي فنسبة لقبيلة لواته البربرية، التي انتشرت بطونها على طول ساحل أفريقيا الشمالية حتى مصر[8]، في حين يقول هو بنفسه في سياق رحلته إلى الهند "وكانوا يدعونني بأرض الهند

---

[1]- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ط4، دار صادر، بيروت، ص8؛ العباس بن إبراهيم السملالي: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، راجعه: عبدالوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1420هـ/1999م، ج5، ص5.

[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص8 .

[3]- حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، القاهرة، 1980م، ص17.

[4]- كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة: ايغور بليايف، جامعة الدول العربية، 1975م، ق1، ص422.

[5]- هو محمد بن محمد بن أحمد الجزي الكلبي (ت757هـ/1356م): أندلسي من غرناطة، ولد بها وشغل منصب كاتب سلطانها أبي الحجاج بن يوسف الأحمر النصري الذي فارقه بعد سوء تفاهم، وألتحق بالبلاط المريني كاتبا في حضرة سلطانه أبي عنان المريني، الذي كلفه بكتابة رحلة ابن بطوطة، التي أنهى كتابتها في شهر رجب 757هـ/فبراير1356، وتوفي في شهر شوال من نفس السنة؛ ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة 1393هـ/1974م، مج2، ص ص256-265.

[6]-ابن بطوطة: المصدر السابق، والصفحة .

[7]- علي عبد الله الدفاع: رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والإسلامية، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، د.م، 1410هـ/1993م، ص207.

[8]- كراتشكوفسكي: المرجع السابق؛ ص422؛ عبد الرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم ، ط1، دار الفكر، دمشق، 1416هـ/1995م، ص259.

بدْر الدين"[1]، وهو لقب ثالث له، وعرف بأبي أحمد أيضا لوجود ولد له يحمل هذا الاسم[2]، وشيخ الرحالين العرب وسيدهم على الإطلاق في عصره[3]. حيث قضى ثمان وعشرين سنة من حياته ينتقل في أجزاء العالم المعروف في زمانه[4].

– نشأة ابن بطوطة :

تعد هذه المرحلة أصعب المراحل دراسة في حياة ابن بطوطة. ومعلوماتنا عنها قليلة جدا، تكاد تكون مجرد إفتراضات، ولانملك إلا إشارة ذكرها ابن الخطيب نقلا عن شيخه أبي البركات، وهي قوله: "...أن هذا الرجل لديه مشاركة يسيرة في الطلب"[5] ، وهو نفس ما ذكره أحد معاصريه **ابن حجرالعسقلاني**[6]،في الدرر الكامنة .

وكان من المفترض أن يزيح لنا ابن الخطيب بعض الغموض عن أخبار هذه المرحلة من حياة ابن بطوطة، خصوصا إذا علمنا أنه ألتقى به في غرناطة وأكثر من ذلك كان على مودة وصداقة به؛ لكن اقتصرت ترجمته له وكل التراجم بعده على نشأته وبيته مع بعض التلميح لرحلاته المختلفة وشكوك الناس فيها على حد قول **ابن خلدون**[7]في الفصل الثامن عشر من مقدمته "في أن آثار الدولة كلها في نسبة قوتها في أصلها"، عند حديث ابن بطوطة عن كرم وسخاء ملك الهند اللامحدود.

وربما كان داعي كل الذين أرخوا أو كتبوا عن ابن بطوطة، أنه هو نفسه لم يُقَدِّمْ صورة كاملة ومفصلة عن سِنِّي حياته الأولى، ولم يكن لدى كاتب رحلته ابن جزي، ما يزود به القارئ من أخبار عن حياته قبل رحلته الحجية سوى ما كتبه في مقدمة الرحلة وهو ما ليس بالكثير[8] .

[1]– ابن بطوطة: المصدر السابق، ص295.

[2]– نفسه، ص268.

[3]– نقولا زيادة: الجغرافية والرحالات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987م، ص187.

[4]–أحمد محمد الشنواني: موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الإسلام، ط1، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 1428هـ/2007م، ص17.

[5]– الحسن الشاهدي: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، الرباط، د.ت، ج2، ص250 .

[6]– ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، د.م، د.ت، ج3، ص480.

[7]– عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تح: أحمد الزعبي، دار الهداية، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص ص208–214؛ الشاهدي: المرجع السابق، ص 250 .

[8]– ابن بطوطة: المصدر السابق، ص8–9.

2- حياة ابن بطوطة الشخصية:

رغم تعدد الكتب والأبحاث التي تناولت هذه الشخصية بالتعريف والترجمة إلا أنها تكاد تكون مصدرا واحدا لأنها تُرِدْ نفس المعلومات والأخبار[1]، خصوصا ما يتعلق بحياته قبل الرحلة وحياته الشخصية المليئة بالأحداث، التي جعلت من هذا الشيخ رحالة عصره دون منازع .

2-1- الحياة العائلية :

لم يكن ابن بطوطة نكرة رفعته المقادير إلى مصاف الرحالة والرواد الكبار، وإنما هو سليل محتد أصيل وعنصر كريم تحلى بصفات هيأت له السمو والرفعة[2]،أينما حل وأرتحل .

شب هذا الرحالة بين أهله وذويه في بسطة من العيش وطمأنينة البال[3]، في كنف أسرة ميسورة الحال من أوساط الناس[4]، عُرِفَتْ بالفضل والعلم أُتيح لكثير من أبناءها إعتلاء منصب القضاء والتدريس، والنبوغ في العلوم الشرعية[5]، ولأن أبوه كان قاضيا[6]، حرص على تربية ابنه تربية صالحة، جامعة بين الحزم في العمل والإسترشاد بأهل الفضل والصلاح في السلوك وحسن المعاملة، حتى يتسنى له بلوغ مكانة من سبقه من أفراد عائلته في شتى المجالات الدينية .

ومن العجب أن يكون ابن بطوطة شيخ الجوابين في عصره، ثم تخلو المصادر الأصلية من ذكره، فلا نجد له في كتب التراجم سيرة، ولا يتحدث عنه معاصروه إلا بما يروي غِلَّهُ، وهو ما دفع البعض إلى الإعتقاد بأن أسرته لم تكن ذات مكانة أجتماعية أو دينية أو علمية مرموقة[7].

غير أن الدراس لرحلة ابن بطوطة وما دونه فيها من أخبار يجدها كافية وحدها لتعطي فكرة واضحة عن حالته الأجتماعية منذ نشأته بطنجة إلى إن استقبله السلطان المريني أبو عنان[8]بفاس.

---

[1]- الحسن الشاهدي : المرجع السابق، ص249.

[2]- إبراهيم العدوي: ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارف، مصر، 1954، ص6.

[3]- أحمد العوامر بك ومحمد أحمد جاد المولى بك: مهذب رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مطبعة الأميرية بيولاق، وزارة المعارف، القاهرة، 1937م، ج1، ص.ع.

[4]- سليمان فياض: ابن بطوطة رحالة الإسلام، ط2، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1421هـ/1991م،ص3.

[5]- عبد الرحمن حميدة: المرجع السابق، ص559.

[6]- نفسه، والصفحة .

[7]- دجيبو سايبو: تاريخ السودان الغربي في نظر ابن بطوطة وابن خلدون، رسالة ماجستير، إشراف، د. الهنتاني نجم الدين، المعهد الوطني لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، (1422-1423هـ/2001-2002م)، ص24.

[8]-**أبو عنان**: هو المتوكل عبد الله فارس بن علي بن عثمان، بويع بتلمسان حينما قام على أبيه سنة 749هـ/1348م، وقد بقي في الحكم تسعة سنين و9 أشهر حتى مات مقتولا من قبل وزيرا له...؛ ينظر: العسقلاني، المصدر السابق، ج3، ص219 .

2-2- الحياة الزوجية:

كانت أسفار ابن بطوطة هي حياته فقد تزوج وهو مرتحل أكثر من مرة وترك زوجاته وجواريه ومعهن أبنائه وبناته منهن حيث كُنَّ وكانوا، فتعدد زواجه أثناء الرحلة واختلف كثير من المؤرخين في تحديد عدد مرات زواجه أثناء رحلته .

تزوج أثناء مسايرته لركب الحاج التونسي في مدينة صفاقس أوخر سنة 725هـ/1325م، حين عقد على بنت أحد أُمناء تونس، وبنى بها في طرابلس؛ ولكن هذا الزواج لم يدم طويلا ولم يكتب له النجاح بسبب مشاجرة بينه وبين صهره، كانت نتيجتها الطلاق[1]، وظلت أسباب هذا الطلاق مجهولة، ولم يفصح عنها الرحالة طوال رحلته .

وتزوج في نفس العام من بنت أحد بعض طلبة فاس، واكب السير معها قائلا: "...وأولمت وليمة حبست لها الركب يوما، وأطعمتهم"[2]، ثم تزوج بدمشق من بنت من أهل مكناس المغرب، وتركها حاملا، وعَلِّمَ وهو في الهند أنها ولدت منه ولدا، سأل عنه أثناء عودته سنة 748هـ في دمشق نور الدين السخاوي[3]،إمام المالكية وكبيرهم فأخبره أن ولده مات منذ اثنتي عشرة سنة .

كما تزوج في الهند عدة مرات؛ غير أن أهم زواج له كان زواجه ببنت الشريف أحسن شاه ملك المعبر، حور نسب المرأة الصالحة التقية، فقال عنها:"أنها كانت صالحة تتهجد بالليل، ولها أوراد من ذكر الله عز وجل، وولدت مني بنتا، ولا أدري ما فعل الله بهما..."[4]

وأثناء تواجده في ذيبة المهل- جزر المالديف حاليا - تزوج أربعة نسوة وغيرهن من الجواري، حيث قال: "كان لي أربع نسوة وجوار سواهن، فكنت أطوف على جميعهن كل يوم وأبيت عند من تكون ليلتها"[5]، وكان كثير الإختلاف معهن، ويطلقهن متى أراد السفر عنهن .

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص12.

[2]- نفسه، ص13 .

[3]- علي بن عبد النصير بن علي بن عبد الخالق السخاوي نور الدين (ت 756هـ): كان شيخ المالكية وفقيههم بالديار المصرية والشامية، حيث كان له تصدير بجامع دمشق، ثم سافر لمصر وتولى مهنة القضاء في صفر سنة 756هـ، ثم مالبث أن مرض ومات بعد 72 يوما من يوم ولايته القضاء في جمادى الأولى من نفس السنة... ؛ ينظر: العسقلاني، المصدر السابق، ج3، ص79؛ ابن بطوطة: المصدر السابق، ص378 .

[4]- نفسه، ص283.

[5]- نفسه، ص333 .

وهكذا كانت رغبة ابن بطوطة في السفر الدائم، وعدم استقراره في مكان واحد وزوجة واحدة، إضافة لتعدد زيجاته أثناء رحلاته، من الأسباب التي أدت لفشل زواجه في كل مرة، لأن كثير من النساء الآئي ارتبط بهن، لم يقدرن على مصاحبته في سفره المستمر، وكُنَّ يطلبن الإنفصال عنه حتى وهن حوامل، لدرجة أننا لم نسجل له بقاء مع إحدى زوجاته، والإستمتاع ببعض أولاده الكثيرين .

2-3- الحياة العلمية:

إن الفترة التي نشأ فيها ابن بطوطة كانت من أزهى فترات عصر بني مرين في المجالات العلمية والفنية والحضارية[1]، مما يجعلنا نفترض أن ابن بطوطة شبَّ وترعرع في حضن أسرةٍ كريمة كانت تهتم بالعلوم الشرعية واللغوية[2]، فحفظ القرآن ودرس على الشيوخ لكي يكون فقيها كأبيه وبقية النابهين من أهل بيته[3].

حصل ابن بطوطة على ما تيسر له من العلم بمسقط رأسه مع ميل واضح منه لفقه المذهب المالكي السائد في شمال أفريقيا[4]، كما درس علوم اللغة والأدب وفنون الشعر[5]، فكان أثناء رحلته لا يخالط إلا أهل العلم ولا يجنح إلا إليهم، ويحرص على الأخذ عنهم والقراءة عليهم[6].

ويظهر لنا جانبا من أثر التكوين العلمي والديني لابن بطوطة في توليه مهنة القضاء وهو في بداية رحلته على ركب الحاج التونسي في طريقه إلى مصر. لما عرف الحجاج علمه وفقهه، فقدموه قاضيا عليهم، وأثناء تواجده في الهند لما خيره ملكها. بين وظائف الوزراة والكتابة والإمارة والقضاء والتدريس، فاختار القضاء والمشيخة شغله وشغل أبائه وأجداده على حد قوله[7]، وكذا توليه ذات المنصب مرة أخرى؛ ولكن هذه المرة مكرها في ذيبة المهل بعد تزوجه من ربيبة السلطان وهي بنت زوجته، قائلا: "ولما تزوجتها أكرهني الوزير على القضاء"[8].

---

[1]- الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ص251.

[2]- علي عبدالله الدفاع: المرجع السابق، ص207.

[3]- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 17.

[4]-كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ص 422.

[5]- إبراهيم العدوي: المرجع السابق، ص7 .

[6]- عبد الله كانون: "ابن بطوطة"،(**مجلة المجمع العلمي العربي**)، دمشق، مج40، 1384ه/1965م، ج1، ص ص 83-108.

[7]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص297 .

[8]- نفسه، ص341 .

وفي الرحلة شواهد كثيرة دالة على بعض المشاركات لهذا الرحالة في النحو، وهو يلاحظ على خطيب جامع البصرة أنه كان يلحن في خطبة الجمعة، وفي الأدب وهو يورد قطعة من شعره في سبعة أبيات يمدح بها سلطان الهند[1]، وفي الفقه من خلال الإجازات التي حصل عليها من طرف عدة مشائخ في مساجد دمشق.

2-4- أخلاق ابن بطوطة الدينة وآثرها على تربيته:

يروي ابن بطوطة أن دافع التقوى والإيمان من رغبته في الحج وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم كان وراء تغربه عن وطنه لمدة تزيد عن ربع قرن. وهو في عنفوان شبابه[2]، قائلا: "كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة، معتمدا حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام"[3].

ويعتبر الحج قرة عين ابن بطوطة، حيث كان لا يفتأ يذكر أن ما متع به في حياته من نعمة وجاه، إنما كان لأنه حج أربع حجات[4]، فكلما طاف وشاهد البلاد والعباد رجع إلى أرض الحجاز مجاورا حاجا أو معتمرا، لتطمأن نفسه ويهدأ باله وينهض من جديد للرحلة.

وانعكس هذا الخلق الديني على شخصية ابن بطوطة، الذي كان بحكم نشأته الدينية تقيا ورعا، يعظم الأتقياء والصالحين ويزور قبورهم للتبرك بهم، ويطلب من أحد الصالحين والأولياء وهو في طريقه الدعاء له ولوالديه، وهو ما جعله يصدق كل ما يروى عليه من قصص، خاصة ما يتعلق منها بالكرامات[5]، مثل ماروي له عن لحية الشيخ جمال الدين في مصر[6]، فسردها كما رويت عليه، دون أن يمحص في صدقها أو كذبها ، أو حتى يقف موقف المشكك في أصلها.

---

[1]- محمد المنوني: "ابن بطوطة"، **(مجلة دعوة الحق)**، س19، ع5، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1398هـ/1978م، ص ص13-20.

[2]- عبد الله كانون: المرجع السابق، ص ص 83-108 .

[3]-ابن بطوطة: المصدر السابق، ص9.

[4]- أحمد العوامري بك ومحمد أحمد جاد المولى بك: المرجع السابق، ص.ع.

[5]-رحاب خضر عكاوي: موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافية والتاريخ والفلسفة، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م، ج2، ص196.

[6]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص21.

كما يبرز لنا في ثنايا الرحلة، أن هذا الرجل برغم فضله وعلمه وحفاظه على أداء الشعائر الدينية. تميز بشيء غير قليل من البساطة التي كانت تصل أحيانا إلى درجة السذاجة[1]، فنجده يحدثنا كثير عن الأساطير التي قد لا يقبلها عقل بشري، مثل ما دونه عن النساء ذوات الثدي الواحد بجزيرة ذيبة المهل، وأخبار العفاريت التي كانت تضرب نفس الجزيزة[2]، ومثل هذه الأخبار وغيرها كثيرة في سياق ومضمون رحلته.

وهذا ما جعل الكثير من المؤرخين يَقِفُونَ موقف الشَّكِ في مدى صحة أخباره ، وكذا أمانته في نقل الأحداث التاريخية التي تحتاج إلى الدقة والتمحيص لا العاطفة الدينية التي طغت عليه كثيرا، فنرى جُلَّ الذين عاصروه، أو جاءوا بعده بيسير لم يعتمدوا رحلته كمصدر تاريخي موثوق في تدوين كتاباتهم التاريخية لما فيها من مغالاة وخروج عن الحقيقة في نظر الكثير منهم .

2-5- آثار ابن بطوطة:

اهتم ابن بطوطة بالرحلات والأسفار ودراسة أحوال المجتمعات في البلدان التي زارها، فهو أعظم الرحالة في عصره قاطبة، وأكثرهم طوفا في الأفاق، وأوفرهم نشاطا وإستعابا للأخبار[3]، لذلك أهتم بالرحلة والأطلاع على كل عجيب وغريب فيها أكثر من إهتمامه بالتدوين، فهو لم يكن كاتبا من أصحاب الأقلام[4]، ولم يخلف وراءه أي انتاج كتابي مكتوبا بيديه، سواء ما ذكر سابقا عن بعض المشاركات اليسيرة للرحالة في الفقه والأدب والشعر، والرحلة القادم ذكرها .

ولعل أهم أثر خلده لنا ابن بطوطة هي هذه الرحالة التي بين أيدينا لكاتبها ابن جزي الغرناطي، التي طاف بنا خلالها بالعالم الإسلامي في (ق8هـ/14م)، وأفصح لنا عن ترامي أطرافه وأمتداد بقاعه، وتحدث عن عادات الناس وتقاليدهم وطباعهم كأنه عالم أجتماع، وعن التجارة وعوامل نجاحها وفشلها وكأنه خبير إقتصادي فيها، وعن التضاريس والجبال والأنهار والطرق البرية والبحرية مما يجعله رحالة جغرافيا متميزا[5]، لدرجة أن العديد من المؤرخين المستشرقين إعتنوا برحلته كثيرا لما أحتوته من مادة تاريخية ثرية عن حياة شعوب كانت مجهولة وغير معروفة قبل رحلة ابن بطوطة .

---

[1]- الشنواني: المرجع السابق، ص22.

[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص6.

[3]- د. زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، 1401هـ/1981، ص136.

[4]- الشنواني: المرجع السابق، والصفحة .

[5]- علي عبدالله الدفاع: المرجع السابق، ص209.

وقد طبعت رحلة ابن بطوطة إلى عدة لغات، في باريس مع ترجمة فرنسية على يد المستشرقين ديفريمري Defremery وسانجينتي Sanguinetti ، وطبعت في القاهرة طبعتين عربيتين، ونشر الأستاذ جب Gibb ملخصا لها بالإنجليزية في سلسلة Broadway Taravellers سنة 1929م بدأها بتصدير طيب تحدث فيه عن الرحالة وعصره[1]، ثم طبعت في هامبورغ بألمانيا بترجمة ألمانية سنة (1330-1331هـ/1911-1912م) على يد المستشرق مزيك. وللرحلة ترجمة تركية اسمها **تقويم وقائع**[2]، وتراجم لعدة لغات أخرى .

وتكمن قيمة رحلة ابن بطوطة العلمية بما تحتويه من معلومات عن ثقافات شعوب كانت مجهولة، وحكايات نادرة تكون أقرب للخيال منها للواقع لا تكلف فيها، تجعل القارئ يندفع إلى قراءتها بكل إمعان، خاصة ما ذكره عن عجائب وغرائب المخلوقات فكان خلال رحلته يسير دائما مفتوح العين بذاكرة قوية جعلته يملي رحلته كلها لابن جزي من ذاكرته دون مذكرات سابقة.

2-6- وفاته:

استقر ابن بطوطة بعد عودته من الرحلة السودانية لمدة تزيد عن عشر سنوات في فاس ضمن حاشية السلطان المريني "الذي غمره بإحسانه الجزيل وأمتنانه الحفي الحفيل، ما أنساه الماضي بالحال، وأغناه عن طول الترحال"[3].

وتبقى بعد هذه المدة التي قضاها في قصر السلطان نحو ثلاثة عشر سنة من حياة الرجل ظلت تفاصيلها غائبة لم يعرف عنها شيء لا عن أهله ولا عن نسله سوى أنه يزاول القضاء في إقليم تامسنا[4] الذي يعتبر أغنى الأقاليم المغربية في مملكة فاس[5]، إلى أن توفي هذا الرحالة الأمين سنة 779هـ/1377م[6]، عن عمر ناهز 74 سنة.

---

[1]- زكي محمد حسن: المرجع السابق، ص137-138.

[2]- دجيبوسايبو: المرجع السابق، ص26.

[3]- الشنواني: المرجع السابق، ص23-24.

[4]- **تامسنة**: هي أحد الأقاليم الهامة في مملكة فاس وأغناها، تمتد حدودها غربا عند أم الربيع، وتنتهي شرقا عند نهر أبي الرقراق، وجنوبا عند جبال الأطلس وتحاذي المحيط من الشمال...؛ينظر: الحسن الوزان (ت 956هـ): وصف أفريقيا، تر: عبد الرحمن حميدة، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2005، ص ص199-202 .

[5]- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، تح: د. عبدالهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية 1417هـ/1997م، ج1، ص80.

[6]- ابن بطوطة: الرحلة، دار صادر، المصدر السابق، ص6.

3- رحلات ابن بطوطة:

استطاع ابن بطوطة في النصف الأول من (ق8هـ/14م)، أن يطوف أغلب البلاد الإسلامية المعروفة في عهده، ويقدم لنا صورة عن عالم إسلامي مستقر آمن في ظل عقيدة الإسلام دون أن يهتم بما يقع بين الحكام في عصره من حروب ونزاعات سياسية[1].

ولقد كان اتصاله بسلطان مراكش أبو عنان فاتحة خير له ولأدب الرحالة عند المسلمين معا[2]، فبعد سماع السلطان لسرد ابن بطوطة لعجائب أخباره ومستغرب مشاهداته، كَلَّفَ كاتبه ابن جزي أن يدون ما يمليه عليه الرحالة. وتولى الكاتب رواية الرحلة وتلخيصها وترتيبها وإضافة بعض الأشعار إليها، وتحقيق بعض أجزائها، وسماها" **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**"[3]، وفرغ من تقييدها سنة 757هـ/1356م .

3-1-رحلات ابن بطوطة عامة[4]:

ولقد أنتظمت رحلات ابن بطوطة وأسفاره في ثلاث رحلات رئيسية تخللتها رحلات فرعية :

أ- الرحلة الأولى:

خرج ابن بطوطة سنة 725هـ/1325م من مدينة طنجة، وطاف بأنحاء المغرب الأقصى، فاتجه شرقا عبر الجزائر وتونس وليبيا وأنتهى به المطاف في مصر، ثم قصد ميناء عيذاب على ساحل البحر الأحمر[5]، وهي الفرضة التي كانت تتجه منها السفن إلى جدة[6]، ونتيجة للحرب القائمة بين مماليك مصر وأهل البجة قاطعي طرق الحجيج عاد إلى الفسطاط التي إنتقل منها إلى فلسطين ولبنان ودمشق وهكذا أتم حجته الأولى سنة 726هـ/1326م .

وبعد أداء فريضة الحج اتجه إلى العراق وإيران وبلاد الأناضول ثم عاد إلى الحجاز وحج للمرة الثانية، وبقي مجاورا للكعبة لمدة سنتين، وفي سنة 730هـ/1329م غادر الحجاز متجها نحو الجنوب فزار اليمن، وبلاد شرق أفريقيا والخليج العربي، ثم إتجه إلى الدولة البيزنطية عبر مصر والشام[7].

---

[1]- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص30 .

[2]- أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، د.ت، ص373.

[3]- زكي محمد حسن: المرجع السابق، ص137.

[4]- ينظر الملحق رقم 1، ص63 .

[5]- أحمد رمضان أحمد: المرجع السابق، ص370.

[6]-كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ص422.

[7]- أحمد رمضان احمد: المرجع السابق، ص370-371.

وبعد أن ترك بلاد الشام ذهب إلى آسيا الصغرى، واستقر في القسطنطينية ومنها اتجه إلى أقصى المشرق، حيث زار خوارزم وخرسان وبخارى التي أعجب بها، ودخل الهند في سنة 734هـ/1333م واتصل بسلطانها محمد شاه، حيث توطدت العلاقة بينهما، فولاه القضاء في دهلي عاصمة الهند لمدة سبعة سنين ونصف السنة[1].

عاد ابن بطوطة من رحلته الأولى الطويلة إلى مكة حيث حج للمرة الرابعة، ثم واصل سيره عائدا إلى بلاده عبر مصر وتونس ومراكش ووصل فاس سنة 750هـ/1349م، وهكذا تمت رحلته الأولى التي دامت 25 سنة كان بعيدا فيها عن وطنه وأهله، وكانت الأطول والأغرب والأشق في نفس الوقت لما أحتوته من غرائب وعجائب كانت مثار شك لدى الكثيرين أدت إلى إتهامه لدرجة الكذب أحيانا[2].

ب- الرحلة الثانية:

لم يبق ابن بطوطة طويلا في فاس ليخرج منها إلى بلاد الأندلس عبر مضيق جبل طارق مرورا برندة، وملقة وغرناطة التي أقام بها مدة أطول[3]. إلتقى فيها بلسان الدين بن الخطيب في بستان القاضي أبي القاسم بن عاصم[4]؛ ثم رجع أدراجه إلى المغرب عابرا مضيق جبل طارق للمرة الثانية.

ج- الرحلة الثالثة:

لم يلبث ابن بطوطة أن خرج في غرة محرم سنة 753هـ/1352م، في رحلة أطول من الثانية بكثير، كان قد كلفه بها السلطان أبو عنان المريني وكانت وجهته فيها جوف إفريقيا[5]؛ عَبْرَ سجلماسة قاصدا مملكة مالي القوية[6] ذهابا، ومتبعا خط تكدا والهقار وتوات في طريق العودة.

3-2- خَطُ رحلة ابن بطوطة إلى أفريقيا جنوب الصحراء :

سلك ابن بطوطة في طريقه إلى أفريقيا جنوب الصحراء دروب ومسالك، حيث انتقل من جنوب الجزيرة العربية – عدن اليمنية – إلى شرق إفريقيا، أشار خلالها إلى ثروة تجار عدن ومكارم

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص373.

[2]- ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ج3، ص480؛ لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ج3، ص273.

[3]-كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ص422.

[4]- لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ج3، ص273.

[5]-كراتشكوفسكي: نفسه، ص424.

[6]- نفسه، ص424.

أخلاقهم وحسن معاملتهم للغريب وإثارهم للفقير[1]، وتحدَّث عن البلاد التي نعرفها الآن باسم **الصومال** وكأنها جزء من اليمن[2]، ومن عدن عَبِر عَبْرَ البحر إلى زيلع[3] مدينة البربرة في أربعة أيام.

أ- خط سير الرحلة إلى شرق إفريقيا سنة (731هـ/1331م)[4]:

في النصف الأول من (ق8هـ/14م) وصل ابن بطوطة إلى ساحل أفريقيا الشرقي، وكانت أول محطاته فيها زيلع، التي لم يعجب بها قط رغم ما شاهده فيها من رواج في أسواقها، أشار خلالها إلى أن سكانها "طائفة من السودان شافعية المذهب، وأن بلادهم مسيرة شهرين أولها زيلع وأخرها مقديشو"[5]، هذه المدينة لم يطل ابن بطوطة البقاء فيها، واختار المبيت في البحر، بسبب كثرة السمك ودماء الإبل المنحورة في أزقتها[6]، وهو ما جعل رائحة هذه المدينة كريهة رغم أهميتها الإقتصادية في ذلك العصر،كونها تعتبر وصلة للتجارة بين بلاد بربرة وسواحل عدن وزبيد والحجاز وعالم المحيط الهندي في عمومه[7].

أما محطته الثانية فكانت مقديشو التي سافر إليها من زيلع بحرا في خمس عشر ليلة، وأثناء إقامته بها استطاع الاتصال بقاضيها المصري ابن البرهان، وعلمائها وسلطانها الشيخ أبو بكر الذي أكرم ضيافته واستقبله أحسن استقبال.

وقدم خلال هذه المدة وصفا دقيقا وشاملا لأحوال مشيخة مقديشو السياسية والإجتماعية والإقتصادية، حيث كانت هذه المشيخة الإسلامية قد بلغت ذروة مجدها في نهاية (ق 8هـ/14م)[8].

---

[1]- ابن بطوطة : المصدر السابق، ص147 .

[2]- محمود الشرقاوي: رحلة مع ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وأفريقيا، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1968م، ص139.

[3]- سماها الإدريسي "**زالع**"، وذكر أنها مدينة صغيرة القطر كثيرة الناس والمسافرون إليها كثير، وأن أكبر مراكب القلزم تصل إليها بأنواع التجارات التي يتصرف بها في بلاد الحبشة ..."؛ ينظر: الإدريسي: أبي عبد الله محمد، محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي (ت550هـ): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج1، 1422هـ/2002م، ص44.

[4]- ينظر الملحق رقم 2، ص64.

[5]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص147 .

[6]- نفسه، والصفحة .

[7]- عبدالله سالم بازينة: انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2010م، ص134 .

[8]- مصطفى محمد مسعد: الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، مج1، انتشار الإسلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1419هـ، ص548.

فتحدث عن حياة أهلها وملابس شعبها وتقاليد وعادات سلطانها في الأحتفالات الأسبوعية وأثناء مقابلته لحاشيته بداية من القاضي ووصولا لعامة الشعب.

ومن مقديشو ركب ابن بطوطة البحر "متوجها إلى بلاد السواحل، قاصدا مدينة كلوه من بلاد الزنوج"[1]،وفي طريقة مر بجزيرة "منبسى"[2]كما سماها، تقع حاليا في تنزانيا وبين هذه الجزيرة وأرض السواحل مسيرة يومين في البحر.

ونلاحظ رغم قصر المدة التي قضاها بهذه الجزيرة إلا أنه أعجب بها، فوصف أشجارها الغنية بالفواكه اللذيذة، وأشار إلى عدم وجود زراعة للقمح بها إنما يجلب إليها من السواحل، وقد اعتمد سكانها على الموز وصيد السمك في طعامهم بشكل كبير، وفيما يتعلق بالجانب الديني للمدينة فإن سكان هذه المدينة "شافعية المذهب أهل دين وعفاف وصلاح ومساجدهم من الخشب محكمة الإتقان"[3].

ويؤكد لنا صحة هذا الوصف ما ذكره الرحالة البرتغالي دوارتو بربوسا (D. Barbosa) الذي زار هذه المدينة في بداية (ق.16م)، وقال عنها: "ثمة مدينة إسلامية كبيرة تدعى ممباسا، وهي جميلة ذات بيوت رائعة...وشوارعها منسقة على غرار شوارع كلوى"[4] .

بات بهذه الجزيرة ليلة واحدة وركب البحر متوجها إلى كلوه التي كانت أخر محطاته في شرق أفريقيا، وهي التي خص سلطانها أبو المواهب بمدح كبير، وثناء جزيل لِمَا رأه فيه من عدل وعطف على الفقراء لدرجة جعلته يهمل باقي مظاهر الحياة العامة للمجتمع في هذه السلطنة الإسلامية الفتية في ذلك العصر.

---

[1]-ابن بطوطة: المصدر السابق، ص149 .

[2]- **منبسى**: ذكرها كلا من ياقوت الحموي والحميري **منبسة** بالفتح ثم السكون وياء موحدة وسين مهملة، وهي مدينة كبيرة ترفأ إليها المراكب، وليس عليها شيء من العمارة، كما أن أهلها متحرفون باستخراج الحديد من معدنه وصيد النمور، وفي هذه المدينة سكنى ملك الزنج... "؛ ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت ، ج2، ص207؛ محمد بن عبد المنعم الحميري (ت900هـ): الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تح: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر، بيروت، 1980م، ص552 .

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص150 .

[4]- د. عبد الرحمن حسن محمود: الإسلام والمسيحية في شرق أفريقيا من القرن 18 إلى القرن 20م، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص63 .

ب- رحلة ابن بطوطة إلى غرب إفريقيا (753هـ/1352م)[1]:

كان السودان الغربي آخر البلاد التي زارها ابن بطوطة في رحلاته الطويلة التي بدأها بالمشرق الإسلامي وآسيا ثم بعد ذلك الأندلس، فنال بها لقب شيح رحالي العصور الوسطى وكبير رحالي العرب[2]، فمباشرة بعد عودته من الأندلس إلى فاس "نزعت نفس الرحالة سريعا إلى الرحلة والتجوال، فانحدر إلى البلاد الأفريقية مارا بسجلماسة[3] في غرة محرم سنة 753هـ/1352م"[4].

وترجح معظم الدراسات أن هذه الرحلة ليست كسابِقَاتِها، حيث كان ابن بطوطة فيها سفيرا غير رسميا للسلطان المريني ليطلع على مصادر التبر والذهب[5]، إستنادا لقوله: " ثم وصلنا إلى حضرة فاس، حرسها الله تعالى، فوادعت بها مولانا، أيده الله تعالى، وتوجهت برسم السفر إلى بلاد السودان..."[6].

ولقد سلك ابن بطوطة أثناء هذه الرحلة طريقين مختلفين بين الذهاب إلى السودان الغربي، والعودة منه إلى مراكش.

- رحلة الذهاب ومحطاتها:

ترك ابن بطوطة مدينة سجلماسة في الغرب من المغرب غرة محرم سنة 753هـ/1352م، وعبر الصحراء ضمن قافلة في مقدمتها أبو محمد بن يندكان المسوفي رحمه الله، وفيها جماعة من تجار سجلماسة وغيرهم، وبعد خمسة وعشرين يوما سيرا في الصحراء وصلت القافلة إلى تغازى قرية معدن الملح، التي يسكنها عبيد مسوفة[7]، ومنها انطلق الركب نحو "تاسرهلا" التي يرسل التكشيف منها إلى أيوالاتن (ولاته) بكتب أصحاب القافلة إلى أصحابهم.

---

[1]- ينظر الملحق رقم 3، ص65.

[2]- نقولا زيادة: **إفريقيات** دراسة في المغرب العربي والسودان الغربي، ط1، رياض الريس، لندن، 1991م، ص338.

[3]- **سجلماسة**: قصبة جليلة على نهر بمعزل عنها يفرغ في قبليها، شديدة الحر والبرد معا، كثيرة التمور والأعناب والزبيب والفواكه والحبوب والرمان والخيرات كثيرة الغرباء؛ ينظر: المقديسي المعروف بالبشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص231.

[4]- الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ص273.

[5]- نقولا زيادة: إفريقيات، المرجع السابق، ص335.

[6]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص392.

[7]- نفسه، والصفحة .

وصلت القافلة بعد شهرين من بدء الرحلة إلى أيوالاتن أول أقاليم مملكة السودان وأقصاها شمالا[1]، زار خلالها نائب السلطان "فربا حسين" وحاكم البلدة "منشاجوى"، ويقول عن إقامته في هذه المدينة: "...وكانت إقامتي بأيوالاتن خمسين يوما، وأكرمني أهلها وأضافوني، منهم قاضيها محمد بن عبد الله بن ينومر، وأخوه الفقيه المدرس يحي"[2].

كما ذكر أن هذه المدينة شديدة الحر؛ ونخلها قليل يزرعون في ظله البطيخ، ومعظم ثياب أهلها حسان مصرية، وأكثر سكانها من مسوفة، أما نساءها فوصفهن أنهن يمتزن بالجمال الفائق[3].

يذكر ابن بطوطة أن المسافة من أيوالاتن إلى مالي 24 يوما للسائر المجد؛ ولكن قبل وصوله لمالي مر على قرية "زاغري" سكانها خليط من السودان يسمون ونجارته، وجماعة من البيضان على مذاهب مختلفة، ومنها وصل إلى "كابره" التي يقول أنها تقع على النيل[4]،ثم "زاغة" التي ينحدر النيل منها إلى "تنبكتو" ثم "كوكو" ثم "يوفي" من بلاد الليميين، وهي آخر بلاد مالي، ثم يتجه النيل شرقا إلى بلاد دنقلة والنوبة...

كتب ابن بطوطة قبل وصوله مالي لجماعة البيضان المقيمين فيها، إلى كبيرهم محمد بن الفقيه الجزولي، وشمس الدين بن النقويش المصري، فحصلوا له على الإذن بالدخول، واستأجروا له دارا، ومن عادتهم أن يمنع الناس من دخول مالي إلا بإذن سلطانها[5]، ومن الواضح أنه في ذلك الزمان كان بمدينة مالي جالية كبيرة من أهل المغرب ومصر. والتي أتخذت حيا خاصا بها في هذه المدينة[6].

دامت إقامة ابن بطوطة بمالي ثمانية أشهر، حيث دخلها في14 جمادى الأولى سنة 753هـ، وغادرها في 22 محرم سنة 754هـ[7]، وفي طريقه مرَّ بعدة قرى منها قرية "قُرِى منسا" التي كان قد

1- زكي محمد حسن: المرجع السابق، ص112.

2- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص392.

3- نفسه، والصفحة .

4- أخطأ ابن بطوطة في تقديره أن النهر الذي مرَّ به نهر النيل وهو في الحقيقة نهر النيجر، وهو نفس الخطأ الذي وقع فيه من سبقه من الرحالة والجغرافيين المسلمين، ونلتمس لهم عذرا في هذا اللبس، ولاسيما أن منابع النيل الحقيقية لم تكتشف إلا منذ عهد يسير في القرن 19م؛ ينظر: إبراهيم العدوي: المرجع السابق، ص142 .

5- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص395-396 .

6- إبراهيم العدوي: المرجع السابق، ص143 .

7- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص402؛ David C.Conrad: Empires Of Medieval West Africa Ghana, Mali, and Songhay, new York, 2005. P. 43

مات له بها جمل يركبه، ولما أخبره راعيه بذلك خرج لينظر إليه فوجد أن "...السودان قد أكلوه كعادتهم في أكل الجيف"[1]، ومَرَّ ببلدة ميمة، ثم مدينة تنبكتو حتى وصل إلى مدينة كوكو.

يقول ابن بطوطة عن مدينة كوكو: "أنها مدينة كبيرة على النيل من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها...، كما ذكر بعض منتجاتها الفلاحية كالأرز واللبن والدجاج والسمك، وتحدث عن عملة أهلها في البيع والشراء وهي **الودع** شأنهم شأن أهل مالي، وفي هذه المدينة إلتقى ببعض المغاربة منهم الفقيه محمد الفيلالي إمام مسجد البيضان من تافيلالت الواقعة جنوب المغرب"[2] .

- رحلة العودة ومحطاتها:

بينما ابن بطوطة في "تكدا" وصله غلام الحاج محمد بن سعيد السجلماسي بأمر من السلطان المريني أبو عنان يستدعيه للعودة إلى فاس. والغالب أن هذا السلطان كان متشوقا إلى معرفة هذه البلاد السودانية التي يأتي منها القدر الوافر من التبر[3].

أمتثل رحالتنا للأمر وخرج من "تكدا" إلى "توات"، في يوم الخميس 11 شعبان 754هـ وحمل معه زادا يكفيه سبعين ليلة "...إذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات، وإنما يوجد اللحم واللبن والسمن يشترى بالأثواب"[4]، في قافلة كبيرة، فيها أحد الفضلاء يسمى جعفر التواتي، وقاضي تكدا الفقيه محمد بن عبد الله وعدد كبيرا من الخدم، حوالي 600 خادم[5].

سارت قافلتهم فمرت ببلاد "الهقار" من طوارق الجزائر ثم "بودا " بإقليم توات ووصلت مدينة سجلماسة في أوساط ذي القعدة سنة 754هـ[6]، وبذلك تكون رحلة ابن بطوطة في بلاد السودان قد استغرقت نحو 17شهرا، والبلاد التي زارها بعضها الآن في نيجيريا، وبعضها في السودان الفرنسي، وبعضها في غانا.

---

[1]- ابن بطوطة المصدر السابق، ص403 .

[2]- نفسه، والصفحة؛ NehemiahLevtzion: <u>ANCIENT GHANA AND MALI</u>, Smithsonian Istitution Libraries, London. 1973. P, 197.

[3]- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص236 .

[4]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص406 .

[5]- نفسه، ص407 .

[6]- نفسه، والصفحة .

المبحث الثاني: أفريقيا جنوب الصحراء في كتابات الرحالة المسلمين قبل ابن بطوطة .

1- تعريف أفريقيا جنوب الصحراء عند المؤرخين العرب:

أُطلق اسم السودان أو أفريقيا جنوب الصحراء على جميع المناطق الشبه صحراوية التي انتشر فيها الإسلام من أفريقيا، والتي تمتد جنوب الصحراء الكبرى ومصر، أي من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا وتساير حدودها الجنوبية بصفة خاصة خط عرض 10°شمالا[1].

وقسمت بلاد السودان حسب المؤرخين العرب إلى ثلاثة أقسام[2] هي:

أ- السودان الغربي: ويمتد من ثنية نهر النيجر في الشرق حتى المحيط الأطلسي في الغرب .

ب- السودان الأوسط: ويشمل المناطق الواسعة المحيطة ببحيرة تشاد .

ويطلق على كل من السودان الغربي والسودان الأوسط أفريقيا الغربية التي تمتد من بحيرة تشاد شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا وتقع بين خطي عرض 9-17°شمالا .

ج- السودان الشرقي: ويشمل مناطق حوض نهر النيل وروافده جنوب بلاد النوبة .

وكان هذا القسم الأخير قد غلب عليه عند العرب بين القرنين (9-12م) اسم بلاد الزنج؛ إلا أن كلمة السودان كانت تشمله أيضا، واختلف عند كثير من المؤرخين في تحديد بدايته ونهايته، بين من يضم له الساحل الأفريقي الشرقي، وبين من يفصله عنه .

وعلى العموم فقد حدد النوري دريد عبد القادر[3] جغرافية الساحل الشرقي الأفريقي، فذكر أنه يحده من الشمال الصحراء ومن الجنوب نهر روفوما Ruvuma ومن الشرق المحيط الهندي ومن الغرب البحيرات الكبرى، وهو ينقسم إلى أربع مناطق رئيسية هي:

1- المنطقة الواقعة بين عيذاب و(بوغاز) باب المندب .

2- منطقة ساحل عدن الغربي وتشمل منطقة الزيلع

3- ساحل الصومال الذي يعرف بساحل البنادر الذي ينتهي جنوبا إلى حدود صوماليا الحالية.

---

[1]- محمد بن عمر التونسي (ت 1274هـ): تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تح: خليل عساكر ومصطفى سعد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، (القاهرة، 1965م)، ص132.

[2]- عبد القادر زبادية: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء: (دراسات ونصوص)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص11 .

[3]- النوري دريد عبد القادر: تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء (4-10هـ/ 10-16م)، كلية الأدب، جامعة الموصل، 1405هـ/1985م، ص29 .

4- ساحل بر الزنوج أو ساحل أزانيا أو (عيزانيا) ويبدأ من حدود صوماليا شمالا وينتهي جنوبا في سوفالة[1] في موزمبيق حاليا .

ويعتبر العرب المسلمين أول من أطلق هذا الاسم على الشعوب التي تقطن في هذه النواحي، وسموا بلادهم بلاد السودان، فقالوا عنها: أنها بلاد كبيرة وسعة، آخذة في الطول من بحر المغرب إلى بحر القلزم، وهي عظيمة جليلة[2]، رحبة الجوانب يحدها من الغرب البحر المحيط ومن الجنوب خراب مما يلي خط الأستواء؛ ومن الشرق بحر القلزم مما يقابل بلاد اليمن ومن الشمال براري بين مصر وبلاد البربر ..."[3]، ويسكن في هذه المنطقة الواقعة مابين مدار الحمل إلى السرطان أقوام من السودان والحبش[4]، استوحوا أصل تسميتهم من لون بشرتهم السوداء[5]، التي هي على النقيض من البياض[6] .

أما عن الجغرافية البشرية لهذا الإقليم فذكر البكري "...أن طائفة منهم في المشرق وأخرى في المغرب، فمن المشرق النوبة والبجاة والزنج والحبشة، فمن المغرب الزغاوة والمغافوا ومركة وكوكو وغانة وغيرهم من أنواع الأحابيش والزنج..."[7].

ونشير إلى أن هذا التقسيم أخذه المؤرخين عن الجغرافيين العرب الذين قسموا المنطقة إلى أقاليم، أما تسمية أفريقيا جنوب الصحراء إنما هي حديثة العهد، ظهرت في العصور المتأخرة مع المؤلفين العرب والأجانب، بينما نجد الاسم الذي تداولته المصادر العربية في العصور الوسطى لهذه المنطقة الفسيحة (أمتدت حدودها غربا إلى المحيط الأطلسي، وشرقا إلى البحر الأحمر، أما شمالا إلى الصحراء

1- **سُفَالَة**: يطلق عليها المؤرخون العرب سُفَالة الزنج، وأهلها مسلمون، يعيشون جنوبي خط الإستواء، وأكثر معايشهم من الذهب والحديد ولباسهم جلود النمور؛ ينظر: أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد الأنصاري : الإلمام بأخبار من حل بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف، مصر، 1895،، ص23 .

2- إسحاق بن الحسين، المنجم (ت ق 4هـ): آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تح: فهمي سعيد، ط1، عالم الكتب،1408هـ/1988م، ص103.

3- أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، المعروف بالقلقشندي (ت821هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، بالقاهرة، 1333هـ/1915م/ ج5، ص273.

4- عبد الرزاق أبو صبر: تاريخ الغرب الإسلامي من خلال جغرافيات مشرقية مؤلفة قبل نهاية القرن الخامس للهجرة، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م، ج2، ص116.

5- المقدسي: المصدر السابق، ص241.

6- جمال الدين بن منظور (ت 711هـ): لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1997، ص224 .

7- أبي عبيد البكري (ت 487هـ): كتاب المسالك والممالك، حققه وقدمه له: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص320 .

الكبرى، وجنوبا إلى الغابات الإستوائية المطيرة)، هي بلاد السودان والحبش والزنج ... للتفريق بين شعوب غرب ووسط وشرق القارة .

2 – نماذج لكتابات رحالة مسلمين مابين القرنين (3–8هـ/9–14م) :

نال العرب قَصَبَ السَّبْقِ في التعريف بالأقاليم الأفريقية الواقعة جنوب الصحراء، فقد أُعتبرت مصنفاتهم التاريخية والجغرافية المرجع الأساسي لدراسة تاريخ هذه المنطقة، خاصة إذا علمنا أن الأفارقة أنفسهم لم يخلفوا أي أثر كتابي يذكر عن تاريخهم[1].

كتب اليعقوبي في (ق3هـ/9م) عن ممالك الحبشة والسودان، وأنهم من ولد كوش بن حام، وفي بلادهم توجد المعادن والتبر والزمرد الكثير[2]، وفي نهاية هذا القرن زودنا ابن خرداذبة في كتابه المسالك والممالك بحديث جيد عن أفريقيا خاصة ما يتعلق منها ببلاد الزنج[3].

وفي النصف الأول من (ق4هـ/10م) نجد المسعودي يقدم لنا كتابات واسعة وشاملة عن المنطقة، فذكر معلومات وفيرة وجيدة عن أفريقيا الشرقية وسواحلها، والغربية أيضا عند ذكره لأنساب السودان وأختلاف أجناسهم وأخبار ملوكهم ونباتاتهم، وحيواناتهم[4]، وأشار خلالها إلى:"أن بلاد الزنج يتحلُّون بالحديد بدلا من الذهب والفضة، ويقاتلون على البقر بدلا من الإبل والخيل"[5].

ويحدثنا الأصطخري في نفس القرن في كتابه المسالك والممالك عن بلاد السودان التي ذكر أنها بلاد عريضة، وليس في أقاليم السودان من الحبشة والنوبة والبجة وغيرهم إقليم أوسع منها، وتمتد إلى قرب المحيط ممايلي الجنوب، ومن الشمال إلى مفازة تنتهي إلى مفاوز مصر من وراء الواحات ثم على مفاوز بينها وبين أرض النوبة ، وأخرى بينها وبين أرض الزنج، وهي على حسب وصفه ليس لها أي أتصال بشيء من الممالك والعمارات إلا بدولة المغرب لصعوبة مسالكها بسائر الأمم[6] .

[1]– الحسن الوزان: المصدر السابق، ص48.

[2]– أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الأخباري (ت295هـ): تاريخ اليعقوبي: تقديم: العلامة الكبير محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1384هـ/1964م، ج1، ص166–167–168.

[3]– جمال زكريا قاسم: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1416هـ/1996م، ص27.

[4]– أبي الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي (ت346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، راجعه :كمال حسن مرعي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، 1425هـ/2005م، ج2، ص ص5–23.

[5]– المسعودي: المصدر السابق، ج2، ص13 .

[6]– جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص35 .

وفي النصف الثاني من نفس القرن يذكر ابن حوقل معلومات متفرقة وغير مرتبة عن بلاد السودان نظرا لأنه لم يعجب بحضارتهم على حد قوله، فقال عنهم:"ولم أذكر بلدان السودان في المغرب والبحة والزنج ومن أعراضهم من الأمم..."[1]، مرجعا سبب ذلك لغياب نظام الحكم والأدب والدين عندهم؛ ورغم ذلك إلا أن معلوماته كانت قيمة خصوصا ما تعلق منها بمادة السودان الغربي عند حديثه عن بعض مدنه وطعام أهله وتجارة الملح بأرضهم .

في (ق5هـ/11م) أمدنا أبي عبيد البكري بمعلومات ثرية عن السودان الغربي وما يحتويه من غرائب وعجائب ومنها ما يتعلق بتوريث الحكم في مملكة غانا (أوكار قديما نسبة لملك لهم كان يحمل هذا الاسم) في "أن الْمُلْكَ لا يكون إلا في ابن أخت الْمَلِكِ، لأنه لا يشك في أنه ابن أخته، وهو يشك في ابنه"[2]، فكانت مادته الأساس الأول التي اعتمد عليها جُلَّ المؤرخين الذين جاءوا بعده في دراسة تاريخ هذه المنطقة .

يقابلنا في (ق6هـ/12م) الإدريسي بحديث واف عن مدن ساحل أفريقيا الشرقي، والجزر المجاورة لبلاد الزنج، فيذكر أن سكان مليندا مثلا: "متحرفون بالصيد برا وبحرا، فيصيدون في البر النمور والذئاب ويصيدون في البحر ضروبا من الحيتان..."[3]،كما تحدث بالتفصيل عن مدن السودان الغربي، ومما قاله عن مدينة مالي:"أن مدينة ملل، إنما هي من بلاد لملم، وهي مدينة صغيرة كالقرية الجامعة لا سور لها..."[4].

في (ق7هـ/13م) يقدم لنا ياقوت الحموي معلومات جيدة ومختصرة عن مقديشو وكلوه، كما تحدث عن الشعب الساحلي وسماهم شعب البربرة، فذكر عنهم: "...أنهم غير البربر الذين يعيشون بدول شمال إفريقيا وجنوبها، لأن هؤلاء سود يشبهون الزنج"[5].

وفي نهاية نفس القرن قام ابن سعيد المغربي بمسح شامل للمنطقة من مدائن التكرور في السودان الغربي غربا، إلى بلاد الحبشة والزيلع في السودان الشرقي شرقا، وذكر أن "...الحبشة أفضل أجناس

---

[1]- أبي القاسم بن حوقل النصيبي (ت 367هـ): كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ، لبنان، 1992م، ص19.

[2]- أبي عبيد البكري: المصدر السابق، ص871 .

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص59 .

[4]- نفسه، ج1، ص22.

[5]-ياقوت الحموي: معجم البلدان، المصدر السابق، ج8، ص171.

السودان وهم نصارى وفيهم بالساحل مسلمون"[1]، فكانت معلوماته دقيقة وثرية بدراسته لجميع جوانب الحياة في هذه المنطقة .

وفي النصف الأول من (ق8هـ/14م) يطلعنا ابن فضل الله العمري بموسوعة كبيرة شاملة، تحدث في بداية الجزء الرابع منها عن الممالك الإسلامية في الحبشة والسودان الغربي، وخَصَّ الباب العاشر منها عن "**مملكة مالي وما بعدها**" بقدر من التفصيل ، فذكر أن سلطانها هو الملك منسى سليمان، تحدَّث عن طريقة حكمه، وأهم العادات والتقاليد التي تطبع مملكته إضافة لأحوال المملكة من زراعة وتجارة وسياسة...، فكان دقيق الوصف مُلِمًّا بجميع جوانب الحياة في هذه المملكة الإسلامية، وما معها من الممالك الصغيرة[2].

ومايجب التنويه إليه أن الكتابات السابقة الذكر إنما هي عينة قليلة من بين عشرات الكتابات لرحالة وجغرافيين مسلمين في العصور الوسطى التي سبقت (ق8هـ/14م) في الحديث عن هذه البلاد المترامية الأطراف التي قدَّرها المسعودي في مجملها مسيرة سبع سنين[3]، فكانت كتاباتهم فريدة ومعلوماتهم اعتبرت المصدر الأساسي لتاريخ هذه المنطقة التي سيوافينا الرحالة ابن بطوطة بمعلومات جديدة عنها، هذا الرحالة الذي قضى سنوات طويلة في الترحال بعيدا عن أهله، فصبر على مشاق الصحاري والفيافيء ومخاطر البحار، من أجل الإتصال بالملوك والأمراء، والتعرف على عادات وتقاليد شعوب العالم في زمانه في وقت كان فيه السفر صعبا والطريق مملؤ باللصوص وقطع الطرق الذين لم يسلم منهم الرحالة في مرات عديدة طوال رحلته .

---

[1]- أبي الحسن علي بن موسى ين سعيد المغربي (ت640هـ): كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص97.

[2]- شهاب الدين أحمد بن يحي ابن فضل الله العمري (ت749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، في ممالك اليمن والحبشة والسودان وأفريقيا والمغرب والأندلس وقبائل العرب، تح: كامل سلمان الجبوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ج4، ص ص 31-60.

[3]- المسعودي : المصدر السابق، ج1، ص127 .

الفصل الثاني

المظاهر الحضارية في شرق أفريقيا جنوب الصحراء

– المظاهر الحضارية في سلطنتي مقديشو وكلوه الإسلاميتين.

1– سلطنة مقديشو الإسلامية .

- اسم مقديشو في المصادر العربية .
- الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية في سلطنة مقديشو.

2– سلطنة كلوه الإسلامية.

- التسمية والنشأة.
- وصف ابن بطوطة للحياة العامة في سلطنة كلوه.
- وصف ابن بطوطة لسلطان كلوه ومكارمه.

- المظاهر الحضارية في سلطنتي مقديشو وكلوه الإسلاميتين .

1- سلطنة مقديشو الإسلامية:

1-1- اسم مقديشو في المصادر العربية:

جاء اسم مقديشو في المصادر الإسلامية ومعاجم الجغرافيين العرب فذكرها ياقوت الحموي[1]والقزويني[2]"**مَقْدَشُو**"،(بالفتح ثم السكون وفتح الدال وشين معجمة)،وسماها ابن بطوطة[3] "**مَقْدَشَو**"، (بالفتح ثم السكون وفتح الدال والشين)، أما المقريزي[4] فيسميها "**مَقْدِشُو**"، (بالفتح ثم السكون وكسر الدال وضم الشين)، ويقول عن موقعها أنها تقع بين الزنج والحبشة، واجمعت كل المصادر السابقة على أن هذه المدينة متناهية في الكبر .

تذكر أحد الكتب التاريخية العربية، وجدها البرتغاليون في مدينة كلوا (KILWA) سنة1505م، بعض الأخبار المهمة عن تأسيس مقديشو. فتذكر أن بعض الهجرات العربية المتوالية القادمة من الشاطئ العربي للخليج الفارسي[5]. كان أخرها في حدود سنة 295هـ/907م بقيادة سبعة إخوة من الإحساء القريبة من البحرين، وصلوا على متن سبعة سفن إلى ساحل بنادر هربا من اضطهاد ملكهم، وقاموا بتأسيس مدينتي مقديشو وبراوة[6]، وكان ذلك حوالي منتصف (ق3هـ/10م)، وظلت أقوى مدينة على الساحل زهاء سبعين عاما[7].

1- 2- الحياة السياسية في سلطنة مقديشو:

أصبحت سلطنة مقديشو الإسلامية في (ق8هـ/14م) ذات نظم ورسوم أصابها قدرًا عظيما من الثروة والجاه، وبعد أن ازداد أهلها ثراءً كان لا بد من وضع نظام سياسي لتنظيم الحياة بها، من أجل توفير الأمن لأهلها وللتجار الغرباء الوافدين عليها.

---

[1]- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص173.

[2]- زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت682هـ): أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ص62.

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص147.

[4]- القزويني: المصدر السابق، ص25 .

[5]- مهندس فتحي غيث: الإسلام و الحبشة عبر التاريخ، مكتبة النهضة المصرية، د.ت، ص74.

[6]- النوري دريد عبد القادر: المرجع السابق، ص148.

[7]- توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، تر: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م، ص378.

2-1- نظم الحكم والإدارة:

عند زيارة ابن بطوطة لسلطنة مقديشو في عام 731هـ/1331م، وجدها قد بلغت درجة عظيمة من الحضارة والرخاء، حيث وجد فيها حاكما يلقب بالشيخ[1]، لم يحمل واحدا من ألقاب الخلافة الإسلامية وشاراتها المختلفة في عصره[2]. "يسمى أبو بكر بن عمر، لغته صومالية لكنه يتكلم اللسان العربي"[3]، أشاد بروعة نظامه في الحكم والإدارة وكيف كان يرتسم هدي الإسلام وشريعته في أمور الدنيا والدين[4] .

ويبدو أن نظام الحكم في مقديشو في ذلك الزمان كان حكما ديمقراطيا من نوع خاص[5]،فلم تكن السلطة المطلقة بيد الحاكم بل كان يعاونه فيها مجلس مكون من القاضي وكاتب السر والوزراء والأمراء أهل الشورى والفقهاء أهل الحل والعَقْدِ.

ويتبين لنا مدى تأثر سلطان مقديشو بتعاليم الإسلام من خلال تخصيصه يوما في الأسبوع للنظر في قضايا الناس وسماع مشاكل الرعية وحل نزاعاتهم بنفسه إقتداء بالرسول محمد (ص) وصحبته ومن تبعهم في ولاية أمور المسلمين . فكان حكمه يتسم بالعدل والمساوأة ويدبر أمور الرعية إلى جانبه المتقدمون على إصطلاح لهم[6].

- القضاء:

كان القاضي يحتل منصبا هاما في سلطة مقديشو وسائر شرق إفريقيا في العصور الوسطى، فقد كان يختارمن العلماء الزاهدين الورعين ووظيفته الوظيفة الأكثر أهمية وهو المرجع الرئيسي للشريعة

1- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص148 .

2- د. السر سيد أحمد العراقي:"معالم الحضارة الإسلامية ساحل شرق أفريقيا في العصور الوسطى"، **(دراسات أفريقية)**، مجلة بحوث نصف شهرية، ع2، المركز الإسلامي، الخرطوم، 1406/1986، ص ص83 -106 .

3- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص148.

4- د. محمد عبدالله النقيرة: انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ للنشر، الرياض، 1402هـ/1982م، ص185 .

5- شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (41-904هـ/661-1498م)، سلسلة عالم المعرفة، ع151، سلسلة شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1990، ص117.

6- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص173؛ القزويني: المصدر السابق، ص62 .

الإسلامية وهو سيد العدالة في البلاد[1]، فكان يلي السلطان مباشرة في الأهمية والمكانة الرفيعة من خلال جلوسه بالقرب من السلطان في مجلسه ومرافقته له في الإحتفالات الأسبوعية .

ذكر ابن بطوطة أن قاضي مقديشو وقت زيارته كان عربيا من مصر "وهو يعرف بابن البرهان المصري"[2]،كلفه سلطان مقديشو إلى جانب مهامه الشرعية ببعض التشريفات السلطانية المتمثلة في استقبال الضيوف من أهل العلم والفقه والشرف، فعندما رست السفينة التي كان على متنها ابن بطوطة بميناء مقديشو قَدِمَ قاضي المدينة ابن برهان المصري رفقة طلبته لإستقباله[3].

2-2- مجلس سلطان مقديشو:

تحدث ابن بطوطة عن سلطان مقديشو ورعيته المسلمة بصورة إسلامية مُشرفة وضاءةُ، صورة حية لحاكم مسلم عادل، وحكومة مسلمة قوية ورعية تعيش حياة إسلامية رائعة[4]، وكان لهذا الشيخ أو السلطان عدد من الوزراء والخبراء القانونيين والقادة الخصوصية الملكية المتنوعة التي هي جميعا تحت إمرته، ويجتمع بهم مرتين في الأسبوع يوم الجمعة بعد الصلاة مباشرة، ويوم السبت للفصل في قضايا الناس ونزاعاتهم.

ولقد خصص سلطان مقديشو يوم السبت للنظر في مظالم الناس وشكاياتهم، فيخرج الشيخ إلى مجلسه حيث يجد القاضي وكبار القوم مجتمعين كل طائفة في مكانها الخاص بها تجلس فيه، وكل صاحب منزلة له مجلسه الذي لا يتعداه، ويجلس القاضي على يسار السلطان والفقهاء بين يديه وبقية الرعية يُسَلِّمُونَ عليه وينصرفون باستثناء الكبراء من كل صنف[5].

وبعد أن يؤلف السلطان قلوب الرعية بالطعام ينعقد المجلس للفصل في شكايات الناس[6]، فيحكم القاضي فيما يتعلق بالأحكام الشرعية، وأهل الشورى من الوزراء والأمراء فيما غير ذلك، وما أحتاج منهم لمشورة السلطان كتبوا إليه فيخرج لهم الجواب من حينه على ظهر بطاقة بما يقتضيه

---

[1] - Freeman,G:The history of the east African coast, 1966, p159.

[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص148

[3]- نفسه: ص147؛ محمود الشرقاوي: المرجع السابق، ص139 .

[4]- النقيرة: المرجع السابق، ص127.

[5]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص149 .

[6]- النقيرة: المرجع السابق، ص 185 .

نظره[1]، ونلاحظ هنا الحرص الشديد من السلطان في نشر العدالة بين أفراد مجتمعه من خلال تقسيمه لأدوار القضاء بين أهل العلم والفضل من حاشيته المقربين .

1-3- النشاط التجاري:

إن طريقة تعامل المقدشيين مع التجار الوافدين عليهم أُعجبت ابن بطوطة كثيرا، فذكر أنه بمجرد وصول المراكب إلى الميناء يصعد تجار البلد إليه بطبق فيه الطعام، ويختار كل واحد منهم تاجرا ليكون نزيله، وتتضمن النزالة هنا شراء التاجر المضيف لكل ما مع التاجر الوافد بالثمن الحلال[2]، والجميل في هذه المعاملة هي تلك المنافسة الشريفة بين التجار إذ لا يحق لأحدهم التعامل مع تاجر اتفق معه تاجرا أخر قبله، إقتداء بتعاليم الإسلام، ووصية الرسول محمد (ص) بعدم جواز بيع الأخ على بيعة أخيه إذا سبقه للبيع.

ومما لاحظه ابن بطوطة، أنه كان لمقديشو حكومة منظمة تعرف أصول الملاحة البحرية[3]. إذا وصلتها سفينة صعد إليها رسول من قبل السلطان ليعرف من أين قدمت؟ ومن صاحبها؟ ومن ربانها؟ ونوع حمولته؟ ومن قدم عليها من التجار[4]؟. ويُتْخذ هذا البيان ليعرض على السلطان فإذا وجد من يستحق ضيافتها من التجار الوافدين استضافه، وبعد ذلك يفسح المجال لبقية تجار المدينة لأختيار نزلائهم من التجار .

أشار ابن بطوطة إلى ثروة سلطنة مقديشو الحيوانية الكثيرة، فقال عنها :"وأهلها لهم جمال كثيرة، ينحرون منها المئين في كل يوم، ولهم أغنام كثيرة"[5]، ويوضح عدد الجمال المذبوحة يوميا عن ضخامة حجم هذه المدينة وازدحامها بالسكان في ذلك العصر[6]،كما ساعدت تربية أهلها للأغنام في صنع الأقمشة التي كانت أساس التبادل التجاري بين مقديشو وبلدان العالم الخارجي، الأفريقي

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص149 .

[2]- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص98 .

[3]- محمود الشرقاوي: المرجع السابق، ص141 .

[4]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص148 .

[5]- نفسه، ص147 .

[6]- شوقي عبد القوي عثمان: المرجع السابق، ص118 .

والأسيوي عند قول ابن بطوطة "وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها التي لا نظير لها، ومنها تحمل إلى ديار مصر وغيرها"[1].

وذكر ياقوت الحموي في معجمه عددا من صادرات مقديشو التي كانت تحمل إلى غيرها من البلدان مثل الصندل والأبنوس والعنبر والعاج[2].

كما ساعد موقع مقديشو الإستراتيجي على الساحل الإفريقي الشرقي[3] في إقامتها لعلاقات تجارية مع العالم الخارجي، والعربي خاصة مصر وفلسطين، حيث ذكر ابن بطوطة بعض المنسوجات المصرية التي أحضرها له قاضي مقديشو، وذكر منها دراعة من المقطع المصري، وعمامة مصرية معلمة، وكذا عند وصفه للباس سلطان مقديشو يوم الجمعة يتكون من فرجية قدسي أخضر، وتحتها من ثياب مصر وطروحاتها الحسان[4] .

وأصبحت مقديشو في ذلك العصر بفضل نشاطها التجاري الدؤوب تمثل مركزا إقتصاديا كبيرا، فكانت همزة وصل بين التجارة الأفريقية والعالم العربي من جهة، وبين أفريقيا وقارة أسيا من جهة أخرى، والسفن التجارية تقدم إليها من كل إتجاه .

1-4- الحياة الإجتماعية في سلطنة مقديشو:

4-أ- عادات وتقاليد الضيافة :

وقف ابن بطوطة في (ق8هـ/14م) على مجموعة من العادات والتقاليد التي ميزت مدن الساحل الأفريقي. وأشاد بمراسيم استقبال الضيوف والتجار معا في سلطنتي مقديشو وكلوه رغم إختلاف اللغة[5]، لدرجة وصفه لبلاد الصومال أنها بلاد كرم ومروءة[6].

ومن العادت التي أشاد بها ابن بطوطة، إهتمام المقديشيين بالعلماء وتعظيمهم لهم، فمباشرة بعد أن استقبله القاضي أصطحبه إلى السلطان، إذ كانت العادة عندهم ألاينزل الفقيه أو الشريف الوافد

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 147-339 .

[2]- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص173 .

[3]- عبد الله سالم بازينة: المرجع السابق، ص136 .

[4]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص149 .

[5]- محمود فتحي عبد العزيز: ابن بطوطة في بلاد السودان (731-754هـ/1331-1353م)، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2017، ص135 .

[6]- محمود الشرقاوي: المرجع السابق، ص 139 .

إلى بلادهم عند أحد إلا بعد مقابلة الشيخ، الذي أكرم ضيافة ابن بطوطة بطبق فيه أوراق التنبول والفوفل، وأمر له بالنزول بدار الطلبة المعدة خصيصا للضيوف[1].

4- ب – المأكل والملبس :

تعجب ابن بطوطة من ضخامة أجسام المقديشيين وسمنها بسبب إفراطهم في الأكل، وهو ما جعله يُقِرُّ "أن مستوى الحياة في تلك البلاد كان مرتفعا"[2]،فذكر أن طعامهم مكوَّن من الأرز المطبوخ بالسمن، يضعونه على صحفة كبيرة من الخشب. فوقه لحم الدجاج والسمك والتنبول، ويطبخون الموز قبل نضجه في اللبن والحليب، كما أنهم يكثرون من المخللات عند الأكل، فإذا أكل الواحد منهم ملعقة من الأرز أكل بعدها لقمة من هذه المخللات، والواحد منهم كما قال ابن بطوطة، يأكل قدر ما تأكل الجماعة من الناس[3].

أما فيما يتعلق بملابسهم، فهي تختلف حسب إختلاف طبقات المجتمع. فالطبقة الغنية المتمثلة في السلطان وحاشيته من الأوزراء والأمراء والقضاة وغيرهم من الطبقة العليا، يلبسون ملابس حريرية وعمائم، بينما يقتصر لباس الرجل العادي من طبقة العامة على قميصا وفوطة تُشَدُّ إلى الوسط وتتدلى حول الجزء السفلي من الجسم[4]، وما خلص إليه ابن بطوطة "أن المقديشيين لايلبسون السراويل، بل يشدون بدلا منها فوطة في أوساطهم"[5].

4-ج- الاحتفالات الأسبوعية:

لاحظ ابن بطوطة أثناء تواجده بسلطنة مقديشو الإسلامية نوعا من الإحتفالات الأسبوعية التي كانت تجمع بين الشكل الإسلامي والطابع الإفريقي[6]، حيث أن السلطان كان يخرج لصلاة الجمعة في مواكب عظيمة ترفع فوق رأسه أربع قباب من الحرير الملون، يعلو كلا منها طائر مصنوع من الذهب الخالص وتضرب بين يديه الطبول والأبواق والأنفار، ويحيط به أمراء الأجناد والقواد والقاضي والفقهاء، وعند ضرب هذه الأدوات لا يتحرك أحد ولا يتزحزح من مكانه، فمن كان ماشيا

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص147-148؛ إبراهيم العدوي : المرجع سابق، ص52-53 .

[2]- محمود الشرقاوي: المرجع السابق، ص140 .

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص148 .

[4]- عبد الرحيم، حياة السيد: مملكة كلوة الإسلامية ودورها السياسي والإجتماعي في شرق أفريقيا، (356-921ه/ 975-1515م)، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. السر سيد أحمد العراقي، جامعة أم درمان، الخرطوم، 2011م، ص136 .

[5]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص148

[6]- محمود فتحي عبد العزيز: المرجع السابق ص 130.

وقف، فلم يتحرك إلى الخلف ولا إلى الأمام حتى ينتهي الضرب مثل النشيد الوطني في وقتنا الحالي، ويسير الموكب حتى يصل إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة، ثم يخرج السلطان ومن معه بهذا التنظيم حتى يدخل مشورته (دار الشورى)[1].

4-د- الحياة الدينية:

تعلق المقديشيون حكاما ومحكومين بتعاليم الدين الإسلامي من خلال إرتباطهم بالمسجد، فلاحظ ابن بطوطة أن أهل هذه السلطنة حريصيين على مواظبة صلاة الجمعة في الجامع الكبير، الذي كان الناس يَرِدُون عليه في مواعيد معينة من السنة فيجتمعون فيه ويقيمون الصلاة به جماعة[2] .

وربما انعكست هذه التربية الدينية على حياة السكان والسلطان نفسه الذي كان في غاية التبجيل والإحترام للعلماء، ومجلسه لا يخلى منهم، وخير دليل على ذلك الترحيب الكبير والتقدير الواسع الذي لقيه ابن بطوطة من قبل السلطان المقديشي أبوبكر بن عمر وحاشيته، وتخصيصه لأحد كبار مسؤولي الدولة في خدمته[3]، ودار مرتبة ومجهزة لضيافة العلماء والفقهاء الذين يَفِدُون على السلطنة، وأخرى لإقامة طلاب العلم ورعايتهم والقيام بأمرهم[4] .

2-2- سلطنة كلوه الإسلامية :

2-1- التسمية والنشأة :

ذُكِرَ اسم كلوه في معاجم الجغرافيين المسلمين والرحالة العرب بأشكال مختلفة، ولعل أشهر تلك الأسماء ما نطقه ياقوت الحموي[5]، والدمشقي[6]"**كِلْوَةُ**"(بالكسر، ثم السكون، وفتح الواو والهاء)، بلفظ واحدة الكِلَى؛ بينما نطقها ابن بطوطة[7]"**كُلْوا**" (بضم الكاف، وسكون اللأم وآخرها ألفا ممدودة) .

1- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 149.

2- النقيرة: المرجع السابق، ص 184.

3- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 148.

4- النقيرة: المرجع السابق، ص187.

5- الحموي: المصدر السابق، ج4، ص478.

6- الدمشقيي، شمس الدين بن عبد الله محمد أبو طالب الأنصاري (ت 725هـ): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بطرسبورج، 1865م، ص150.

7- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص150.

وأوضح[1] **freeman** أن تسمية ياقوت الحموي الأولى هي الأصح لأعتبار أن هذه الجزيرة تشبه كلوه الإنسان.

تأسست هذه السلطنة الزنجية، الواقعة إلى الجنوب من زنجبار[2]، في عام 395هـ/975م بعد بناء مدينة مقديشو بسبعين عاما، واختلفت الروايات التاريخية في شخص مؤسسها بين علي بن الحسين، أو والده حسن بن علي حاكم إقليم شيراز بفارس، وتقول أحد الروايات أن حسن بن علي كان قد قَدِمَ بصحبة أبنائه وأتباعه، واشترى هذه الجزيرة من أحد الوطنيين الأفارقة الكفار[3]؛ ولكن المعروف حسب عبد الرحمن زكي "أن علي بن الحسن هو الذي أستوطن كلوه وأقام بها هذه المدينة الإسلامية"[4]، التي بلغت درجة عالية من التقدم والأزدهار، وكانت خليفة لسلطنة مقديشو على الساحل الأفريقي الشرقي.

2-2- وصف ابن بطوطة للحياة العامة في سلطنة كلوه الإسلامية :

زار الرحالة ابن بطوطة مدينة "كُلْوا" عام 732هـ/1332م، وقدم لنا وصفا حسنا عنها، حيث تحدث عن صفات سلطانها وأخلاقه الكريمة، وما بلغته سلطنته من تقدم وأزدهار في شتى المجالات الحضارية .

شاهد ابن بطوطة عظمة مدينة كلوه والرخاء المادي الذي كان يرفل فيه أهلها والحضارة اليانعة التي أزدانت بها مدينتهم، فقال عنها: "هي مدينة عظيمة ساحلية...من أحسن المدن وأتقنها عمارة وكلها بالخشب"[5]، أما قصور سلاطينها فكانت تشبه إلى حد كبير قصور الأمويين في دمشق وقرطبة[6].

1- Freeman,G : Select Documents On the East African Coast from the firstto the earlier Ninecteenth, Oxford, 1936, p, 47.

2- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص100

3- سعيد بن علي المغيري: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تح: د. محمد علي الصلابي، ط4، د.م، 1422هـ/2001 م .

4- عبد الرحمن زكي: "الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا"، **(المجلة التاريخية المصرية)**، ع21، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مصر، 1974م، ص ص37- 66 .

5- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص150 .

6- سيد احمد العراقي: "الأفريقيون ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية"، **(مجلس الشباب العربي الأفريقي)**، [على الخط]، متاح على: https://aaycouncil.orag.com، تاريخ الإطلاع: 2019.02.28م ، 10:30 .

قامت هذه السلطنة الزنجية على مزيج أجناس مختلفة من عرب، وفرس، وهنود، وأفارقة، وجنس خليط عرف بالجنس السواحلي[1]، وانتشرت هذه الأجناس على طول الساحل الممتد من شمال إرتيريا وحتى مدينة سفالة جنوب نهر الزمبيزي في موزمبيق[2]، فكونوا مزيج من العادات والتقاليد الأفريقية الإسلامية .

أشار ابن بطوطة إلى بعض تلك العادات والتقاليد التي ميزت سكان كلوه وسائرهم من الزنوج، قائلا عنهم: "...وأكثر اهلها الزنوج المستحكمو السواد، ولهم شرطات في وجوههم كما في وجوه الليميين من جنادة"[3]، ولا تزال مثل هذه العادات باقية عند السودانيين، ويعتبرونها نوعا من التجميل والجمال لدى الفرد السوداني .

وفي الجانب الديني، ركز ابن بطوطة على إظهار صلابة سكان كلوه في الدين وشجاعتهم، فنجده يصفهم قائلا: "وهم في جهاد لأنهم في بر واحد مع كفار الزنوج، والغالب عليهم الدين والصلاح، وهم شافعية المذهب"[4]،وكأنه يخبرنا ان المذهب الشافعي تقليد توارثته مدن الساحل الشرقي الأفريقي، رغم أسبقية المذهب الشيعي الذي جاء به مؤسسي هذه السلطنة الفرس الشيرازيين الذين لم يحاولوا فرضه على السكان الأفريقيين، إضافة إلى ان الزنوج انفسهم لم تكن عندهم الرغبة المطلقة في أتباع هذا المذهب، والذي ظل تأثيره محدودا وفي مناطق محدودة .

أما عن الحياة الإقتصادية في سلطنة كُلْوه الإسلامية عروس الشاطئ الأفريقي الشرقي في العصور الوسطى[5] فقد انحصر حديث ابن بطوطة فيها عن بعض الروايات الشفوية فقط التي نقلها له أحد التجار "في أن مدينة سُفَالة على مسيرة نصف شهر من كُلْوا، وأن بين سُفَالة ويُوفي من بلاد الليميين

---

[1]- يُعْرَفُونَ **بالمولدون**، تكونوا نتيجة تزاوج عربي أفريقي، يدينون بدين الإسلام نتيجة أنتشاره بين قبائلهم، لغتهم هي خليط من العربية واللغات الأفريقية، تسمى السواحلية؛ ينظر، حياة السيد عبد الرحيم: المرجع السابق، ص146 .

[2]- علي منصور نصر: " العرب وأنتشار اللغة العربية في أفريقيا الشرقية في العصور الوسطى "، **(مجلة البلقاء للعلوم الإنسانية والإجتماعية)**، ع2، كلية الأدب، جامعة البحرين، 2011، ص ص 115-153 .

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص150 .

[4]- نفسه، والصفحة .

[5]- سلطنة كلوة الإسلامية: الموسوعة الإسلامية، [على الخط]، متاح على: http://www.islambeacon.com، تاريخ الإطلاع : 2019.4.21، 18:35 .

مسيرة شهر، ومن يُوفي يؤتى بالتبر إلى سُفَالة"[1]، ومن هذه المدينة سُفَالة ينقل الذهب إلى كلوه وسائر مدن شرق أفريقيا .

إن ما يدعو للأسف أنه كان بأستطاعة ابن بطوطة من خلال هذه الرحلة أن يوافينا ببيانات جغرافية وسياسية عن العلاقات التجارية والسياسية لهذه السلطنة الإسلامية بغيرها من المناطق المحيطة بها[2]، خاصة إذا علمنا أنها في زمانه كانت أهم مركز إسلامي في شرق أفريقيا، وأن وصفه لها كان فريدا من نوعه، فلم يسبقه لهذا الوصف والتحليل أحد من الجغرافيين والرحالة المسلمين في العصور الوسطى؛بل كانت مادته أساسا إعتمد عليها جُلَّ الرحالة الأجانب للمنطقة .

2-3-وصف ابن بطوطة لسلطان كلوه ومكارمه :

أشاد ابن بطوطة كثيرا بسلطان كُلْوه وقت زيارته إليها سنة 732هـ/1332م، فذكر"أن اسمه أبا المظفر حسن، ويكنى أيضا ابو المواهب"[3]، وهو أصل لهذه الكنية وهذا التكريم[4]، وكان أبو المواهب هذا كثير الحملات العسكرية على القبائل الوثنية القريبة منه، التي غالبا ما كان ينتصر عليها ويحصل على غنائم ليقوم بتقسيمها على مستحقيها، ويستخرج الخمس منها ليوزعه في مصاريفه الشرعية، مصداقا لقوله تعالى: [وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ][5]، وكان يأخذ منها حصة ذوي القربى ليدخرها عنده لمن يَقْدِمْ عليه من شرفاء العراق والحجاز وسواهما[6] .

وكان من شدة تواضع هذا السلطان أنه يجلس للفقراء، ويعطف عليهم، ويؤنسهم ويسمع لشكواهم، حيث صادف مرَّة وهو عائِد من صلاة الجمعة أحد الفقراء اليمنيين، فأعترضه الفقير وطلب منه ملابسه التي يرتديها في حينه، فرد عليه السلطان: "لبيك يا فقير، ورجع إلى المسجد ودخل بيت الخطيب فَلَبِسَ ثيابا سِواها وخلع تلك الثياب، وقال له: ادخل فخذها، ودخل الفقير

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص150.
[2]- جمال زكريا قاسم: المرجع السابق: ص50-51 .
[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص150.
[4]- محمود الشرقاوي: المرجع السابق، ص142 .
[5]- سورة الأنفال، آية 41 .
[6]- جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص51 .

وأخذها"[1]، ولما سمع ابن السلطان بالأمر أرسل للفقير وأعطاه مقابل إرجاع تلك الملابس عشرة رؤوس من الرقيق وحملين من العاج بدلا عنها[2].

ومن طرائف ما يذكر ابن بطوطة أنه لما مات هذا السلطان الفاضل الكريم،خلفه أخوه داوود في الحكم الذي كان على عكس أخيه، برغم صلاحه وتقواه؛ لأنه لايعطي أحدا شيئا، فإذا جاءه السائل، قال له : "مَاتَ الَّذِي كَانَ يُعْطِي ولم يَتْرُكْ بَعْدَهُ ما يُعْطَى"[3].

ويظهر لنا جليا تأثر سلاطين هذه البلاد بالحضارة العربية الإسلامية، فلم يذكر ابن بطوطة أنه تفاهم مع سكان هذه المدن عن طريق ترجمان ولا عن وجود مترجم لخطبة الجمعة أو العيد ببلادهم عكس غرب أفريقيا[4]، من خلال حديث سلطان مقديشو أبو بكر بن عمر مع ابن بطوطة بالعربية، وفهم الرحالة لنص الحوار الذي جرى بين الفقير اليمني وسلطان كلوه أبو المواهب .

وعلى العموم فإن الصورة التي نقلها ابن بطوطة عن شعوب شرق أفريقيا جنوب الصحراء كانت مشرقة في مجملها، حيث كانوا في غاية الحضارة والتقدم من خلال التسيير الرشيد الذي اتبعه سلاطينهم في أنظمة حكمهم، عن طريق توزيع المهام بين المقربين منهم، وتواضع بعضهم بجلوسهم لفقراءهم والإستأنس بصحبتهم، والمعاملة الجيدة التي أمتاز بها تجارهم مع الغرباء، إضافة لتعظيمهم لأهل العلم والشرف من البلاد العربية بهدايا ثمينة وغالية، سواء بالتبجيل كالذي لقيه ابن بطوطة في مقديشو، أو العطايا التي أعتاد سلاطينهم يمدوها لشرفاء العراق والحجاز، وكذا تخصيصهم دورا للضيافة يشرف عليها أحد الوزراء المقربين من السلطان، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الإسلام تغلغل في أوساط المجتمع الأفريقي وتأثر به الحكام والمحكومين فلا عجب ولا غرابة فيما نقله الرحالة ابن بطوطة عن حياة هذه الشعوب الإسلامية .

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 150-151 .

[2]- نفسه، ص151 .

[3]- نفسه، والصفحة؛ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 100 .

[4]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 399؛ علي منصور نصر: المرجع السابق، ص ص115-153 .

الفصل الثالث

المظاهر الحضارية في غرب أفريقيا جنوب الصحراء (مملكة مالي الإسلامية)

1- مملكة مالي الإسلامية التسمية والتأسيس .

2- الحياة السياسية في مملكة مالي الإسلامية.

3- الأحوال الإقتصادية في مملكة مالي الإسلامية.

4- الحياة الإجتماعية في مملكة مالي الإسلامية.

المظاهر الحضارية في غرب أفريقيا جنوب الصحراء (مملكة مالي) :

1- مملكة مالي الإسلامية التسمية والتأسيس :

تعد مملكة مالي من أشهر الممالك الإسلامية التي قامت في منطقة غرب أفريقيا في القرون الوسطى، حيث اختلف الكثير من المؤرخين والجغرافيين المسلمين في ضبط اسمها الصحيح.

فنجد البكري[1]يضبطها (ملل)؛ بينما يسميها العمري،[2]وابن بطوطة[3]والوزان[4](مالي)؛ أما كعت[5]فيسميها (مَلّ)، والسعدي[6](ملي)، وترجح الدراسات أن تسميتها الصحيحة (مالي)[7]كما وردت عند ابن بطوطة الذي زارها في منتصف (ق 8هـ/14م) في فترة إزدهارها، ووصفها وصفا دقيقا يُنِمُّ عن إلمامه الدقيق بكل جوانبها السياسية والإقتصادية والإجتماعية.

تأسست هذه المملكة الإسلامية سنة 638هـ/1240م بقيادةسوندياتاكيتا (636-653هـ/1238-1255م)، المنتمي لقبائل الماندينجو المسلمة القاطنة في إقليم (كانجابا). بعد هزيمته لمملكة الصوصو، وقتله لقائدها سومانكورو في معركة "كيرينا" التاريخية سنة 632هـ/1235م، وتدميره لمدينة كومبي صالح عام 1240م عاصمة دولة غانا الوثنية القديمة، هذه الأخيرة التي كان قد قضى عليها المرابطون سنة 469هـ/1076م، فاستطاع سوندياتاكيتا أن يضع حجر الأساس لتأسيس هذه المملكة الإسلامية التي ضمت عدة دول في مملكة واحدة، ويجدر بنا هنا أن نذكر أن مالي[8] لم يكن اسم البلد الحالي، بل اسم ثاني الممالك الأفريقية السودانية الكبرى التي قامت في غربي أفريقيا وخلفت دولة غانا الوثنية في المنطقة .

---

[1]- أبي عبيد البكري: المصدر السابق، ص 875.

[2]- العمري: المصدر السابق، ج4، ص34.

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص396 .

[4]- الحسن الوزان: المصدر السابق، ص538 .

[5]- محمود كعت: تاريخ الفتاش من أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، ذيله هوداسدلافوس، د.م، 1964م، ص38.

[6]- عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي: تاريخ السودان، تح: هوداس دلافوس وشاركه تلميذه سيد بنوة، المدرسة الباريزية للألسن الشرقية، باريس، 1981م، ص9.

[7]- د. مطير سعد غيث أحمد: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين (10-11هـ/ 16-17م) ، دار المدار الإسلامي، د.ت، ص68.

[8]- حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 232؛ ينظر: الملحق رقم 4، ص66.

2-الحياة السياسية:

أعطى القلقشندي نقلا عن سعيد الدكالي تحديد الرقعة هذه المملكة، إذ أشار إلى أنها مربعة، طولها أربعة أشهر أو أزيد، وعرضها مثل ذلك، تقع جنوب مراكش[1]، تمتد من بلاد السنغال غربا إلى ممالك الهوسا شرقا، ومن بلاد البربر شمالا حتى ساحل العاج والذهب جنوبا[2]، وجميعها مسكونة إلا ما قلَّ، وهذه المملكة هي أَعظم ممالكِ السودانِ المسلمين[3].الأَمر الذي يوضح ماكانت تتمتع به من رقعة جغرافية مترامية الأطراف،كما يُؤَمي إلى العظمة التي كانت عليها .

2-1- نظم الحكم والإرادة:

1- أ- نظم الحكم:

كان نظام الحكم في مملكة مالي الإسلامية ملكيا وراثيا، تنتقل السلطة فيه من الأب أو الإبن أو الأخ لأخيه[4]، فعند زيارة ابن بطوطة لها وجد أن السلطان فيها"منسى سليمان، ومنسى معناه السلطان وسليمان اسمه"[5].

وقد تنتقل السلطة في حالات نادرة من الملك لابن الأخت وهذا تقليد قبلي قديم[6]، على قاعدة العجم في تمكليك البنت أو ابن البنت[7]، وقد أورد ابن بطوطة أنه شاهد في مدينة "تكدا" أبناء أُخْتِ سلطانها "**إزار**" يرثونه في الملك[8]، كما لاحظ في مدينة أيوالاتن ذلك حين قال: "لا يرث الرجل إلا أبناء أخته دون بنيه، وذلك شيئا ما رأيته في الدنيا إلا عند كفار بلاد المليبار من الهنود، وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات، وتعلُّم الفقه وحفظ القرآن"[9].

---

[1]- القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص282.

[2]- التونسي: المصدر السابق، ص134.

[3]- العمري: المصدر السابق، ج4، ص49؛ ينظر: الملحق رقم 5، ص 67 .

[4]- النوري: المرجع السابق، ص254.

[5]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص397.

[6]- النوري: المرجع السابق، ص254.

[7]- القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص294.

[8]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص406؛ ابراهيم علي طرخان: دولة مالي الإسلامية، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م، ص136.

[9]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص334.

ويتأكد لنا صحة هذا التوريث للحكم من سؤال حاجب مصر ابن أمير للسلطان منسى موسى وهو في طريقه للحج عام (714هـ/1324م) عندما نزل في ضيافة سلطان مصر عن كيفية وصول السلطة إليه؟ . فأجابه قائلا: "نحن أهل بيت يتوارث الملك"[1].

– تكوين الحكومة المالية:

يعتمد منسا مالي في حكومته على مجلس يترأسه السلطان شخصيا، يساعده فيه مجموعة من الوزراء وموظفين في دواوين الدولة المختلفة[2]، أهمهم "**قنجا**" معناه نائب السلطان، مثل قنجا موسى نائب منسى سليمان عند زيارة ابن بطوطة للمملكة مالي الإسلامية[3]، وهو يقوم مقامه إذا غاب ويساعده في تسيير شؤون البلاد، وفي غالب الأحيان يكون هذا النائب هو ابن السلطان نفسه[4].

ذكر ابن بطوطة في رحلته لغرب أفريقيا جنوب الصحراء ألقاب بعض حكام الولايات ومساعديهم فذكر لقب "**كي**"[5](بضم الكاف وسكون الياء)، ومعناه "الأمر للحاكم"، وهو أعلى لقب لحكام الولايات لأنه قد يطلق على السلطان نفسه فيقال:"سليمان كي"[6]، وهو تقليد شبيه بما حدث في زمن المماليك في مصر والأيوبيين في الشام، حيث يقابل نائب الشام عند المماليك نائب السلطان أو الكُيْ عند السودان .

ويساعد "الكي" موظف آخر لقبه"**فربا**" ومعناه النائب عن السلطان في البلاد، مثل فربا أيوالاتن، واسمه حسين زمن منسا سليمان الذي لم يعجب به ابن بطوطة بسبب غطرسته واحتقاره للجنس الأبيض، من خلال تكلمه معهم بترجمان رغم قربه منهم[7]، وتتلخص مهمته في السهر على

---

[1]- العمري: المصدر السابق، ج4، ص56.

[2]- الهادي مبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13-15م، تقديم: د. محمدرزوق، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2001م، ص59.

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص398.

[4]- ذكر القلقشندي أنه أثناء حج منسى موسى ترك ابنه محمد نائبا عنه في تسيير أمور المملكة، ينظر؛ القلقشندي: المصدر السابق،ج5، ص298.

[5]- ذكر السعدي بعض حكام الولايات في مالي الذين حملولقب "كُي"، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: "كُو كي، عَنْ كُي، سُمْ كُي....الخ"؛ ينظر، السعدي: المصدر السابق، ص 10 .

[6]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 398

[7]-نفسه، ص394.

حفظ الأمن والنظر في الأمور الإدارية، وبجانبه ما يعرف في الإصطلاح السوداني "المنشاجوى"، وهو المشرف على ضمان السير العادي للحركة التجارية في أرجاء البلاد[1].

– طبيعة الحكم في دولة مالي الإسلامية:

تميز طابع الحكم في دولة مالي الإسلامية بالإستبداد والملكية المطلقة. فقد تمتع ملوكهم بأحترام وتعظيم مبالغ فيه من الرعية قد يصل إلى درجة التقديس والعبودية[2]، "فهم أعظم الناس تواضعا لملكهم، وأشدهم تذللا له"[3]، وكل من دُعي مِنهم إلى قصر السلطان لأي أمر يجب أن يخلع نعليه وعمامته، وإلا قتل بلا عفوا عمدا كان هذا الشخص أم سهيا[4].

وتشارك الزوجة زوجها الحكم في مقاطعة مالي حاضرة ((ملك السودان))، وتُلَقَبُ "**قاسا**" في لغتهم، ومعناها الملكة أو الزوجة الكبرى، "وهي شريكته في الملك على عادة السودان، ويذكر اسمها مع اسمه على المنبر"[5]، ومعنى هذا أن سكان السودان الغربي وهم مسلمون كانت نسائهم قبل أكثر من ستمائة سنة يشاركن في الوظائف العامة، وكانت الزوجة تشارك زوجها مسؤوليات الحكم ومظاهره .

1– ب– نظم الإدارة:

– القضاء:

كان نظام القضاء في مملكة مالي الإسلامية دقيقا ومحل عناية كبرى من السلطان، ويكاد يكون منقولا عن المشرق الإسلامي ولاسيما مصر[6]، حيث صور لنا ابن بطوطة عند زيارته لمملكة مالي مؤسستين قضائيتين الأولى من إختصاص الملك نفسه، مهمتها النظر في القضايا الإجرامية، خاصة ما يتعلق بالأمن العام وقضايا المساس بالدولة أو السلطة[7]، كجرائم الخيانة ومثال ذلك مؤامرة "قاسا"

---

[1]– أحمد شكري: الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي 1250–1430م)، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1420هـ/1994م، ص190.

[2]– محمد فاضل وسعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ص93 .

[3]– ابن بطوطة: المصدر السابق، ص398.

[4]– العمري: المصدر السابق، ج4، ص53.

[5]– ابن بطوطة: المصدر السابق، ص400.

[6]– إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص131.

[7]– عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1988، ص282 .

ضد زوجها منسا سليمان فحكم عليها الأمراء بتصريح من السلطان بالقتل فخافت وأستجارت بدار الخطيب[1].

أما المحكمة الثانية فهي محكمة القاضي الذي لابد من توفر شروط العلم والنزاهة والورع[2] فيه لتولي هذا المنصب، ومهمتها الفصل في المشاكل الداخلية، ويعرف القاضي في دولة مالي الإسلامية باسم "**بانفارقم**"[3].

وَقَدَّمَ ابن بطوطة شواهد كثيرة عن أهمية القاضي ومكانته في مملكة مالي، منها تكليف السلطان له بالنظر في قضية التاجر المسوفي "أبو حفص" الذي اشتكى من ظلم لحقه من "منشاجوى" أيوالاتن وبناء على حكم القاضي، قرر السلطان عزل المشاجو من منصبه[4].

ولم تقتصر مهمة القاضي في مملكة مالي الإسلامية وسائر غرب أفريقيا على المنازعات بين الأفراد بل تتعداها أحيانا إلى فَضِّ المناوشات التي قد تثور بين الولاة أنفسهم، حيث أفاد ابن بطوطة أنه حضر في "تكدا" فَضَّ نزاع بين سلطانها "إزار" البربري، و"التكريري" من سلاطين البربر عندما تدخل القاضي إبراهيم إسحاق الجناتي والفقهاء لصد هذا النزاع[5].

ويتبين لنا مما سبق أن القضاء في مملكة مالي الإسلامية كان قائما ومستمدا من الشريعة الإسلامية، من خلال الصلاحيات التي أعطاها السلطان للقاضي، ومشاركة سلطان مالي بنفسه في هذه المهمة النبيلة الصعبة في آن واحد .

– الجيش:

يتألف الجيش في مملكة مالي من عناصر أساسية من الفرسان والرجالة، ويعتبر الفرسان القوة الفعالة في جيش مالي. وهو مقسم إلى عدة وحدات، على رأس كل وحدة كما يذكر ابن بطوطة

---

[1]– ابن بطوطة: المصدر السابق، ص407

[2]– د. الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والإقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15م إلى بداية القرن18م، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1420هـ/1999م، ص66.

[3]– محمود كعت: المصدر السابق، ص35.

[4]– تتمثل قصة التاجر المسوفي في أنه أخذ منه منشاجوى أيوالاتن ستمائة مثقال ذهب، وعند الرد أراد المنشاجو أن يعطي التاجر عند مقابلته مائة مثقال خاصة فشكاه للسلطان، وَكُلِّفَ القاضي بالنظر في أمرهما "**فثبت للتاجر حقه، وعُزِلَ مشرف أيوالاتن**"؛ ينظر، ابن بطوطة: المصدر السابق، ص400.

[5]– نفسه، ص406.

ضابط عسكري يحمل لقب "**فراري**" وجمعه "**فرارية**" ومعناه الأمراء. وجرت العادة أن يحضر هؤلاء الفرارية بجنودهم في المواكب السلطانية[1]، سواء في الأحتفالات أو في مجالس السلطان .

أما أسلحة هذا الجيش، فهي متكونة من السيوف والكنانات والأقواس والرماح والدروق والقسي والنشابات...الخ[2]، ويُعَدُّ سُلطان مالي القائد الأعلى لهذا الجيش.

1-2- مجلس السلطان:

ترك لنا ابن بطوطة في رحلته لغرب أفريقيا جنوب الصحراء صورة عن بعض التقاليد الملكية في مجلس السلطان منسى سليمان. في صورة شبيهة لِما كان سائدا في بلاط مراكش ومصر[3]، وكان السلطان في بلاد المغرب يجلس بنفسه لقضاء المظالم ويُحْضِر معه حاشيته من العلماء والفقهاء والقضاة والطبقة العليا من رجالات الدولة، يحيط بهم السلاح والحراس من كل جانب[4].

وهو ما نقله ابن بطوطة، حينما وصف لنا جلوس هذا السلطان لحل المشاكل والأقتصاص من الظالم، ولو كان من أقرب المقربين منه، وهو ما حصل حينما علم بخيانة زوجته "قاسا" وتأمرها عليه مع ابن عمه (جاطل الهارب)، وهذا يُعَدُّ عندهم خيانة وخروجا عن قوانين الدولة فأمر بمعاقبتها، رغم كونها شريكته في الحكم.[5]

وكان جلوس السلطان في كرسي حكمه ومخالطته لشعبه في أفريقيا جنوب الصحراء يختلف حسب المناطق، غير أنه في الشكل العام كان للسلطان هيبته ومقامه العالي. الذي قد يصل إلى حدِّ الإذلال والحلف باسمه حسب قول ابن بطوطة "فيقولون: منسى سليمان كي"[6].

كان الكُلُّ يهاب السلطان ويحترمه ولا يقدر الكلام أمامه إلا بأمر منه[7]، حيث بلغ مقدار الطاعة الزائدة والإحترام الذي كان يبديه السودان لسلطانهم لاسيما أولئك الذين يُنْعِمْ عليهم في مجلسه. أن يقوم المنعم عليه بأستبدال ملابسه بملابس قديمة ثم ينزع عمامته ويدخل على السلطان

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص398-399 ؛ دجيبوسايبو: المرجع السابق، ص63 .

[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص394 فما بعدها بعدة صفحات.

[3]- نعيم قداح: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة عمر الحكيم (كوناكري)، د.م، د.ت، ص105 .

[4]- روجيه لوتورنو: فاس في عصر بني مرين، تر: د.نقولا زيادة، مكتبة لبنان، 1967، ص118-119.

[5]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص401 .

[6]- نفسه، ص398؛ النوري: المرجع السابق، ص254 .

[7]- القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص300.

رافعا سرواله إلى نصف ساقيه، ويتقدم أمامه حتى يقترب منه فيضرب الأرض بمرفقيه ويتخذ وضع الركوع سامعا كلامه[1].

وغالبا ما يجلس سلطان مالي في قبة مرتفعة في داره، لها طيقان من الخشب مغشاه بصفائح الذهب والفضة، فإذا كان يوم جلوسه بها رفعت الستور وأخرج من شباك إحدى الطاقات شُرابة حرير ربط فيها منديل مصري مرقوم علامة على جلوسه، عندها تضرب الطبول والأبواق والأنفار، ويخرج نحو ثلاثمائة من العبيد مسرعين فيدعون نائبه قنجا موسى، ويأتي الفرارية، والخطيب والفقهاء فيقعدون أمام السحلدارية (الجند) يمنة ويسرة في المشور...[2].

ومن عادة سلطان مالي وسلاطين أفريقيا جنوب الصحراء في مجالسهم أن لا يكلموا الرعية مباشرة بل عن طريق ترجمان يدعى"**دوغا**"[3]، والذي يكون واسطة بين السلطان والرعية، وهذا "الدوغا" بدوره يُكَلِّم رجلا واقفا تحت طيقان المشور، وهذا الأخير يُكَلِّم السلطان.

1-3- وصف السلطان منسى سليمان (736-760هـ/1336-1360):

حرص ابن بطوطة على دراسة أحوال سلطان مالي منسا سليمان دراسة دقيقة ومفصلة لمعرفة طباعه ومعاملته لشعبه وللغرباء الوافدين على مملكته، لأن تصرفات الحكام مرآة تنعكس عليها شؤون البلاد في مختلف جوانب الحياة.

تولى هذا السلطان حكم أمبراطورية مالي بعد وفاة منسا "**مغا**" (ومعنى مغا في لغتهم محمد) ابن أخيه موسى، لفترة عشرين سنة أو يزيد ويذكر ابن خلدون أن منسا سليمان وصلت أيام حكمه أربعة وعشرين سنة ثم هلك وقد بلغت إمبراطورية مالي في عهده قمة الأزدهار والعظمة[4].

والملاحظ أن ابن بطوطة ركز على إظهار جانب البخل في السلطان منسا سليمان بعد الضيافة المتواضعة التي أرسلها له مع أحد رجال القاضي، وكانت عبارة عن قطعة لحم بقري مَقْلُو بِالْغُرْتِي وثلاثة أقراص من الخبز وقرعة لبن رائب، فعندما رأها ابن بطوطة ضحك وتَعَجَّبَ من ضُعْفِ عقولهم

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص398 .

[2]- نفسه، ص394؛ David C. Conard: Op. cit p.43

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 394؛ التونسي،: المصدر السابق، ص168.

[4]- ابن خلدون:"**تاريخ ابن خلدون**" المسمى ديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م، ج6، ص268؛ .David C.Conrad: Op. Cit. p. 44 .

وتعظيهم للشيء الحقير[1]على حدِّ قوله، مؤكدا في ذات الوقت أن الناس في بلاد السودان تكره هذا السلطان لذات الصفة "وكان السودان يكرهون منسى سليمان لبخله"[2].

ووضع مقارنة بين هذا السلطان وأخيه موسى (707-732هـ/1307-1332م) الذي اشتهر بالعدل والصلاح وعظمة الملك وفوق ذلك كُلِّهِ بالسخاء والكرم، راويا قصة والد ابن شيخ اللبن التلمساني الذي كان قد أحسن للسلطان موسى في صغره بسبعة مثاقيل ذهب، فَرَدَّ عليه السلطان بأضعاف أضعافها سبعمئة مثقال، وكسوة وخدم وعبيد[3].

غير أن ابن بطوطة كان متسرعا في حكمه على السلطان منسا سليمان، وهو الذي أكرمه بعد ذلك بثلاثين مثقالا وثلثا من الذهب ومئة أخرى عند سفره عن مالي[4]، ففرح عندها وقُرَّتْ عيناه ورضي عن سلطان مالي الذي كان سخيا مع الغرباء وأهل العلم أيضا .

وعلى النقيض من ذلك امتدح ابن بطوطة عدل هذا السلطان وكرهه للظلم بأشكاله وتحذيره عماله من تساهلهم فيه، بقوله لهم:"إني برئ من الظلم، ومن ظلم عاقبته ومن علم بظلم ولم يعلمني به فذنوب ذلك الظالم على عُنُقِهُ، والله حسيبه وسائله"[5]، بعد رواية الفقيه الغريبة للسلطان عن انتشار الجراد في بلاده البعيدة التي جاء منها، وتكلم إحدى الجرادات معه أن الله أرسل الجراد لبلادهم كعقاب لهم بسبب تفشي الظلم في مجتمعهم .

وكان عدل ملوك أفريقيا جنوب الصحراء سواء كانوا مسلمين أو وثنيين، عادة متوارثة في مجالس سلاطينهم، حيث كانوا يتفقدون رعاياهم صباحا ومساء، ويطمأنون على أحوالهم، ويحكمون بينهم بالعدل، بل أكثر من ذلك كانوا يضعون مستشاريهم وقضاتهم ووزرائهم غالبا من المسلمين كما كان الشأن في مملكة غانا الوثنية[6] .

1-The British Museumi : <u>The wealth Of Africa The Kingdom of Mali Russell Street</u> , London, 2010, P, 7 .

2- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 401؛ بينما نجد وصف **العمري** لهذا السلطان مختلف عن ما ذكره ابن بطوطة، فيقول عنه: "**...أنه من أعظم ملوك السودان مالا، وأحسنهم حالا، وأقهرهم للأعداء، وأقدرهم على إفاضة النعماء**"؛ ينظر العمري: المصدر السابق، ج4، ص49.

3- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص401؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص267؛ السعدي: المصدر السابق، ص7 .

4- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص397.

5- نفسه، ص400.

6 – الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص23-24؛ البكري: المصدر السابق، ص871-872 .

3-الأحوال الاقتصادية :

شهدت مملكة مالي الاسلامية في مطلع (ق8هـ/14م) ثورة أقتصادية كبيرة، ساهمت بقسط وفير في دفع حركة الأقتصاد الوطني. الذي جاء نتيجة الازدهار السياسي الذي خلفه الاستقرار الأمني في البلاد[1].

3-أ – النشاط الفلاحي:

شهدت الزراعة نشاطا ملحوظا في العديد من أماكن المملكة نظرا لما تتمتع به من مقومات، منها خصوبة التربة وعذوبة المياه، فضلا عن أنها كانت تتمتع بكثافة سكانية اتجهت في غالبها إلى خدمة الأرض[2]. وهذا ما أكده كعت حين قال: "إن مَلّ تشتمل على نحو أربعمائة مدينة، وأرضها كثيرة الخير"[3].

ذكر ابن بطوطة في رحلته إلى السودان الغربي العديد من المحاصيل الزراعية. التي وجدت تشجيعا من ملوك مالي، لما تَدُرُّهُ عليهم من أموال طائلة[4]، فذكر منها الحبوب بأنواعه كالفول والفوني وهو كحب الخردل يصنع منه الكسكسو والعصيدة، ودقيق اللوبياء[5].

إضافة إلى الأرز والذرة الواسعة الإنتشار، ومعظم الأرز الموجود في بلادهم من الصنف البَرِّي، أما الذرة فتمثل الغذاء الرئيسي لهم ولدوابهم[6]، كما كانوا يزرعون القطن والقمح، غير أن القمح على حد تعبير ابن بطوطة لم يكن يزرع على نطاق واسع، ويقتصر أكله على أهل اليسار من التجار والغرباء لارتفاع سِعره[7].

كما تحدث ابن بطوطة عن عدة صنوف من الأشجار بين أيوالتن ومالي، بشكل يثير الدهشة خاصة عندما يقول: "أن القافلة تستظل بظل الشجرة منها، وأن الناس استغلوها كمخزن كبير للمياه

---

[1]- الدالي: التاريخ السياسي، المرجع السابق، ص79.

[2]- الدالي: مملكة مالي، المرجع السابق، ص67.

[3]- محمود كعت: المصدر السابق، ص38-39.

[4]- الدالي: مملكة مالي، المرجع السابق، ص68 .

[5]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص395؛ القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص288.

[6]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص ص395-404؛ القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص288 .

[7]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص405؛ مؤلف مجهول (ت ق 12م): كتاب الأستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبدالحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص215.

التي تسقط من الأمطار في شربهم وتجارتهم، حتى أن بعضهم اتخذها محلا لإنهاء عمله مثل الخياط الذي جعل بعض هذه الأشجار دكانا له[1].

وتحتوي هذه الأشجار على العديد من الفواكه، منها ما يشبه ثمرة الإجاص والتفاح والخوخ والمشمش، والفقوس (ضرب من البطيخ) والقرع، ونوع آخر يشبه القلقاس يسمى القافي، وهو مفضل عندهم على سائر الطعام، علما أن ابن بطوطة مرض بسبب أكله منه[2].

ومن الحيوانات التي ذكرها: التمساح وخيل البحر والسمك وعندهم كذلك الدجاج والبغال والحمير والبقر الوحشي والغنم والماعز والجمال، إضافة إلى الخيل القصيرة بنوعيها العربية والتترية إلا أنها غالية الأثمان يساوي الواحد منها مائة مثقال[3]، ويقتنيها فقط ملوك مالي والأثرياء من المجتمع أو ما يعرفون بأهل اليسار .

3- ب- النشاط التجاري:

1- تنظيم الطرق التجارية:

رسم ابن بطوطة صورة واضحة حول الطرق التجارية الرابطة بين المغرب والسودان الغربي.سواء المحور التجاري الرابط بين سجلماسة ومالي عبر تاسرهلا[4] وتغازا، أو الخط الرابط بين تكدا والهقار وتوات[5]، مشيرا إلى واحات الماء وأستراحات القوافل المنتشرة عَبْرَ الصحراء التي تزود المسافرين بالماء[6]،وما يحتاجونه من زاد وطعام وشراب وأدلاء...

ومما ذكر ابن بطوطة أثناء رحلته أن بعض البربر من مسوفة كانوا وسطاء ويعلمون في التجارة كأبي محمد بن يندكان المسوفي مُقَدِّم القافلة التي خرج ضمنها ابن بطوطة من سجلماسة قاصدين

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص395؛ يذكر **القلقشندي**، أن هذا النوع من الأشجار يستظل تحتها ما يقارب 500 محارب لضخامتها الشديدة، وانتشار ظلها لمسافات كبيرة؛ ينظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص298.

[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص ص395-396 .

[3]- ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ص91؛ ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 392 فما بعدها بعدة صفحات .

[4]- **تاسرهلا**: مكان في الصحراء تنزل القوافل عليها، لتستريح وتصلح أسقيتها؛ ينظر: ابن بطوطة، نفسه، ص 393 .

[5]- مصطفى نشاط: "البعد التجاري في رحلة ابن بطوطة"، **(ندوة ملتقيات ابن بطوطة الدولية للتواصل بين الثقافات)**، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، طنجة، 1993، ص ص253-272 .

[6]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص393 .

تغازا. وبربر آخرين في بلاد "بردامة" يتكفلون بسقاية القوافل وتمويلها وتزويدها بالماء والطعام، عند قوله:"ولا تسير القوافل إلا في خفارتهم"[1].

وبلغ درجة تنظيم هذه القوافل التجارية أنها كانت تخرج مرفقة بكشافين وأدلاء يطلق على أحدهم اسم التكشف[2]، يسبق القافلة إلى أيوالاتن مقابل أُجْرَة لتبليغ أصحاب هؤلاء التجار القادمين بقدومهم من أجل أن يكتروا لهم دورا يقيمون بها مدة إقامتهم في المدينة، ويخرجوا لاستقبالهم عند أقترب القافلة من أيوالاتن مسافة أربعة أيام[3].

2- السلع التجارية:

ذكر ابن بطوطة أثناء رحلته بعض السلع التجارية التي صادفها في طريقه، وكان لها دور كبير في تحريك عملية التبادل التجاري بين شمال أفريقيا والسودان الغربي، فما هي هذه السلع التجارية التي كانت أساس التبادل التجاري بين شمال أفريقيا والسودان الغربي من خلال ما نقله ابن بطوطة ؟.

أ- الذهب:

يشير ابن بطوطة في حديثه عن البلدان التي زارها إلى أنتشار معدن الذهب في أرضهم بشكل كبير، فيقول في هذا الصدد: "أن قرية تغازى على حقارتها يُتَعَامَلُ فيها بالقناطير المقنطرة من التبر".[4]

وكان سلاطين مالي يُخْرِجُون هذا المعدن كَمَالٍ زكاة في رمضان، أو كهدايا لمقربيهم فيقول: أن السلطان منسى موسى أعطى لأبي إسحاق الساحلي أربعة ألاف مثقال ذهب، ولمدرك بن فقوس ثلاثة ألاف مثقال أيضا في يوم واحد[5].

واستغل سلاطين مالي هذا المعدن الثمين في الزينة أحيانا، فكانت قُبَةَ سلطان مالي عليها نسيج من الحرير وطائر من الذهب، وعلى رأس السلطان عصابة من الذهب. وأحيانا أخرى في

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص392-405.

[2]- **التكشيف**: اسم رجل من مسوفة يكتربه أهل القافلة إلى أيوالاتن،...ورأيت من العجب أن الدليل الذي كان لنا أعور العين الواحدة، مريض الثانية، وهو أعرف الناس بالطريق؛ ينظر: نفسه، ص 393؛ ويذكر **الحسن الوزان** الذي سلك هذا الطريق نفسه بعد قرن ونصف قرن أن أحد القوافل فقدت طريقها، وأن دليلا أعمى هو الذي أنقذها، عن طريق شَمِّهِ لرمال الصحراء؛ ينظر: بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، بقلم: روبن هاليت، تر: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988م، ص167 .

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص393.

[4]- نفسه، ص 392؛ الشرقاوي: المرجع السابق، ص376 .

[5]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص397-401 .

صناعة السلاح الحربي عند حديثه عن استعراض السلطان لجنده يوم العيد، فيقول: "وتأتي السلحدارية بالسلاح العجيب من تراكش الذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب وأغمادها منه، ورماح الذهب والفضة..."[1].

ب-الملح:

تعتبر الملح سلعة رئيسية في تجارة الصحراء منذ القدم، لاعتبارها تمثل ضرورة فيزيولوجية في حياة السكان لأنها تساعد الجسم على الاحتفاظ بالماء في ظروف الحرارة الشديدة[2]، فيشير ابن بطوطة إلى أنتشار هذا المعدن بقرية "تغازا" الواقعة جنوب المغرب بقرب البحر المحيط، لدرجة أن كل بيوت سكانها ومساجدها من حجارة الملح، ولا يَسْكُنُهَا إلا عبيد مسوفة الذين يحفرون على هذا المعدن لاستخراجه من باطن الأرض[3].

غير أننا لا نكاد نتفق مع ابن بطوطة حين وصف قرية تغازا "أنها قرية لا خير فيها"[4]. لأن الملح في ذلك الوقت كان يمثل مادة إقتصادية عظيمة الفائدة، حيث كانت مناجم تغازا تزود معظم أسواق أفريقيا والسودان الغربي به[5]، ويباع الحمل منه بأيوالاتن بعشرة مثاقيل إلى ثمانية، وبمدينة مالي بثلاثين مثقالا إلى عشرين، وربما انتهى إلى أربعين مثقالا"[6]، إضافة إلى أن الناس في السودان يَتَصارفون به كما يتَصارفُ بالذهب والفضة، بعد أن يقطعوه قطعا، وقد يستعمل كمقايضة في عملية البيع والشراء حيث أن المسافر في الصحراء بين أيوالتن ومالي لايحمل معه زادا ولا إداما ولا نقودا إنما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج، الذي يسميه الناس النظم، وبعض السلع العطرية[7].

ج- النحاس:

اشتهرت مدينة "تكدا" الواقعة في الجنوب الغربي من "تنبكتو" بمعدن النحاس، الذي يعد مادة تجارية بالغة الأهمية في بلاد السودان وغيرها. ويأتي في الأهمية بعد معدني الذهب والملح للحاجة

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 395-399.

[2]- مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص ص253-272.

[3]- القزويني: المصدر السابق، ص 25-26؛ ابن بطوطة: المصدر السابق، ص392؛ الوزان، المصدر السابق، ص526 .

[4]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص392.

[5]- امتثال الأمين محمد الحاج: أثر التجار المسلمين في أنتشار الإسلام والثقافة الإسلامية في غرب افريقيا (حتى ق16م)، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف د. علي عبدالله الخاتم، جامعة الخرطوم، 2006م، ص56؛ ينظر: الملحق رقم 6، ص68 .

[6]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص392 .

[7]- نفسه، ص394-395 .

الماسة إليه في الصناعات الحربية والزينة، وصناعة الأواني وغيرها[1]، ومن ما ذكره ابن بطوطة عن استخراج هذا المادة فيشير إلى أنه كان يجلب من خارج المدينة ويُسْبَكُ في الدور عن طريق العبيد والخدم بطريقة سهلة[2].

ويحدثنا عن استغلال هذا المعدن أيضا، في أنه كان يستخرج منه قضبانا في طول شبر ونصف، بين رقاق وغلاظ، فيباع الغلاظ منه كل أربعمائة قضيب بمثقال ذهب[3]، أما الرقاق فيباع كل ستمائة إلى سبعمائة قضيب بمثقال ذهب. وكانت قوته الشرائية عالية إذ يشترون برقاقه اللحم والحطب، وبخلافه الذرة والسّمْنَ والخدم والحديد والقمح[4].

كما أن لهذا النحاس استعمال خارجي. يصدر من تاكيدا إلى بلدة "جوبير"Gobir في بلاد الوثنيين، ويصدر إلى "زاغاي"Zeghay، وإلى إقليم برنوBornu الذي يبعد مسيرة 40 يوما من "تاكيدا"[5]. وربما كان هذا المعدن أساس المبادلات التجارية بين "تكدا" والعالم الإسلامي، حيث أن سكان "تكدا" كانوا دائمي التجارة مع مصر يسافرون كل عام ويجلبون منها أحسن الثياب .

د- العبيد:

أورد ابن بطوطة تقريرا كئيبا يثير الشجن عن إزدهار نظام العبيد ورواج تجارة الرقيق بالسودان الغربي، حيث كانت أثمان العبيد مرتفعة، وكان أمتلاكهم من مؤشرات الرَّفاه والبذخ، لهذا انحصر الإقبال عليه من جانب الفئة الثرية، وقد كان الحصول على الْمُتَعَلِّمَاتِ من العبيد "نادرا وبالثمن الكثير"[6].فذكر أثناء عودته إلى موطنه الأصلي، أنه سافر ضمن قافلة تقل ستمائة جارية من النسوة اللآئي أخذن من تاكيدا (Takeada) ليبعن في أسواق الشمال الإفريقي[7].

ولا يخفى علينا أن هذه التجارة أصبحت مع قدوم الاستعمار الأوربي للمنطقة تنافس تجارة الذهب، وأصبحتا معا أهم صادرات القارة الأفريقية للعالم خاصة بعد اكتشاف العالم الجديد .

---

[1]- الدالي: التاريخ السياسي: المرجع السابق، ص285.

[2]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص406.

[3]- نفسه، ص406.

[4]- أمتثال الأمين محمد الحاج: المرجع السابق، ص54.

[5]- بوفيل: المرجع السابق، ص172.

[6]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص405 .

[7]-كولين ماكيقيدي: أطلس التاريخ الأفريقي، تر: مختار السويفي، مراجعة: محمد الغربي موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص101 .

4- الحياة الإجتماعية:

استطاع ابن بطوطة أن ينقل لنا صورة حضارية إجتماعية إسلامية ممزوجة بالعادات الوثنية الأفريقية التي طبعت حياة سكان غرب أفريقيا جنوب الصحراء، من خلال الرحلة التي قادته لهذه البلاد، حيث نقل مشاهداته عن كل صغيرة وكبيرة طبعت المجتمع السوداني .

4-1- الحياة الروحية والعلمية والفنية :

أ- الحياة الروحية:

وصف ابن بطوطة أهل السودان بأنهم شديدو التدين، مشيرا إلى حفاظهم على الصلاة رجالا ونساء، وأدائها جماعةً، ولهم عناية بالغة بحفظ القرآن الكريم وتحفيظه لأولادهم منذ الصغر، وقد يصل بهم الحد لتقييد أرجلهم بالقيود إن بدى منهم تقصيرا في ذلك ، فلا تفك عنهم حتى يحفظوه[1].

أعجب ابن بطوطة بمدى حرص السودان على أداء صلاة الجمعة والإهتمام بدراسة القرآن، فكانت المساجد تمتلئ بجماعات المصلين الذين يتسابقون في الوصول إلى المسجد منذ الصباح الباكر[2]، وقبل ذهابهم كانوا حريصين على النظافة الشديدة وعلى حُسْنِ مظهرهم"بلبسهم الثياب البيض الحِسان يوم الجمعة، ولو لم يكن لأحدهم إلا قميصا خَلْق غسله ونظفه وشَهِدَ به الجمعة"[3].

كما أشار عند مروره بقرية "زاغرى" وهو قادم من أيوالاتن عن تواجد مجموعة من غير السودانيين، وهم غالبا من البيض المغاربة يدينون بالمذهب الإباضي الخارجي يسمونهم"**صغنغو**"، وآخرين يدينون بالمذهب المالكي السني يسمونهم"**توري**"[4]، غير أن المذهب الفقهي الذي كان ولا يزال يسود منطقة السودان الغربي هو المذهب المالكي السُّني .

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص402؛ أحمد شكري: المرجع السابق، ص203-204.

*كان عبد الله بن ياسين إمام صنهاجة الصحراء متشددا في حق تارك الصلاة، بضرب من تخلف عن أداءها مع الجماعة عشرين سوطا، ومن فاتته ركعة ضرب خمسة أسواط؛ ينظر: البكري: المصدر السابق، ص864.

[2]-Nehemiah Levtzion: Op. cit, P. 195 .

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص402.

[4]- إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص147؛ الشرقاوي: المرجع السابق، ص389 .

ونجد أن الرحالة ابن بطوطة ذكر في موضع واحد في حديثه عن ديانة أهل السودان الغربي كلمة ((بلاد كفار)) لدلالة عن الوثنيين الذين لم يدخلوا في دين الإسلام، وهم أكلة لحوم البشر[1]. أما في بقية المواضع فلا نجد إشارة لدين آخر غير الإسلام في السودان الغربي .

ب- الحياة العلمية والثقافية:

يعتبر (ق8هـ/14م) عصر ازدهار في ميدان العلم والتعليم، وانتشار الثقافة الإسلامية في مملكة مالي. فانتشرت بها المساجد والجوامع، وأُقيمت بها الجمع والجماعات والآذان، مما دفع بالحركة العلمية والثقافية إلى التقدم بهذه المملكة المترامية الأطراف.

اهتم السلطان منسى موسى ومن بعده أخيه سليمان بالعلم والعلوم "فجلب إلى بلاده الفقهاء والعلماء من مذهب الإمام مالك"[2]، حيث أشار ابن بطوطة إلى عدد من رجال العلم الذين إلتقى بهم من مختلف الأقطار العربية بمدينة مالي[3]،والذين كانت لهم مشاركة في العلوم الدينية والطبية. حتى أنه عندما أصيب بمرض حادٍ في معدته نتيجة أكله "عصيدة" مصنوعة من شيء يشبه القلقاس كاد يهلك لولا إسعافه من قبل طبيب مصري مقيم هناك قدَّم له داوء مسهلا يسمى "بَيْدَر"[4].

وذكر نعيم قداح"أن الأفريقيين عرفوا خياطة الجروح وتضميدها، وقطع النزيف بالزيت المغلي، ومعالجة السموم بخلاصة بعض النباتات"[5].

كما أشار الرحالة إلى إرتفاع مستوى التعليم عند حكام السودان، فذكر أنه وجد **"كتاب المدهش"**لإبن جوزي عند الحاكم "فربا سليمان" وهو في طريقه من "تنبكتو" إلى "كوكو" مشيرا في

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص403؛ الشرقاوي: المرجع السابق، ص390 .

[2]- العمري: المصدر السابق، ج4، ص49.

[3]- د.رؤوف عباس حامد: العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، دار الثقافة العربية، كلية الأدب، جامعة القاهرة، 1407هـ/1987م، ص 151؛ صادف ابن بطوطة أثناء رحلته عددا من أفراد الجالية المغاربية معظمهم كانوا من العلماء الذين شغلوا مناصب القضاء والإمامة وكذا تعليم القرآن الكريم في كل قرية او مدينة مرَّ بها تابعة لمملكة مالي الإسلامية؛ نذكر منهم : الفقيه المقرئ عبدالواحد صهر ابن الفقيه الجزولي، وكذلك علي الزودي المراكشي وولد ابن شيخ اللبن اللذان كانا من طلبة العلم يعلمان القرآن، والفقيه محمد الفيلالي الذي سبق ذكره إمام مسجد البيضان في مدينة كوكو...؛ ينظر ابن بطوطة: المصدر السابق، ص398 فما بعدها بعدة صفحات .

[4]- نفسه، ص394؛ رؤوف عباس حامد: المرجع السابق، ص159.

[5]- نعيم قداح: المرجع السابق، ص148.

نفس الوقت إلى الثقافة العربية الإسلامية التي كان يتمتع بها هذا الأمير المشهور بالشجاعة والشدة والكرم على حد قوله[1].

ومما يؤسف له أن الرحالة ابن بطوطة مَرَّ مرور الكرام على مدينة تنبكتو. واقتصر حديثه في أن سكانها من مسوفة أهل اللثام، وحاكمها يسمى "فربا موسى"، وبها قبري المهندس المعماري "أبي إسحاق الساحلي"[2] و"سراج الدين بن الكويك" أحد كبار تجار الأسكندرية، وكانت هذه المدينة في ذلك الزمان ولعصور طويلة مركزا هاما لتجارة القوافل مع بلاد المغرب، ونموذجا للبلاد الإسلامية بالسودان الغربي في ذلك العصر، ورائدة شعلة العلوم فيه .

ج- الحياة الفنية:

إن من الفنون التي شَدَّت إنتباه ابن بطوطة في بلاد السودان زخرفة القرع في صُنْعِ الجِفْانِ، فهم كما يقول: "يقطعون القرعة نصفين فيصنعون منها جفنيتين، وينقشونها نقشا حسنا"[3]، لتصبح أواني لشرب المياه أو لتناول الأطعمة السائلة أو لاستعمالات أخرى، وقد أشار الإدريسي إلى كثرة البصل والقرع والبطيخ وأهميته عند الزنوج[4].

وقدم ابن بطوطة الذي زار مملكة مالي بين عامي 1352-1353م وصفا دقيقا ومفصلا لاحتفالات عيد الفطر والأضحى التي حضرها وشاهد بعض مراسيمها في مجلس السلطان منسا سليمان[5]، أين كان يحضر صنف من الشعراء -يسمونهم الجُلاء- في مشهد مضحك، فيدخل أحدهم في جوف صورة مصنوعة من الريش تشبه طائر الشقشاق له راسٌ من الخشب ومنقار أحمر، يقفون

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص404 .

[2]- إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي (ت747هـ/1346م): المعروف بالطويجن شاعرا ومهندسا معماريا، أندلسي من غرناطة. أدخل أساليب جديدة في البناء بالسودان الغربي، فبنى مسجد تنبكت وجني والقصر الملكي في نياني، وكان من بين العلماء الذين استقدمهم السلطان منسا موسى من مكة المكرمة أثناء حجته المشهورة سنة 724هـ/1324م...؛ ينظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ج1، ص337؛ مسعود خالدي: "أبو إسحاق الساحلي الأديب والمهندس المعماري وأثره في نشر فن العمارة الإسلامية بالسودان الغربي"، **(مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والإجتماعية)**، [على الخط]، متاح على: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/80975،تاريخ الإطلاع:06.05.2019، 19:25 .

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص395 .

[4]- الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص21.

[5]- NehemiahLevtzion: Op. cit, P. 192.

بين يدي السلطان ينشدون أشعارا ومواعظ بلغتهم، ويُذَكِّرُون فيها السلطان بمن سَبِقهُ في أعتلاء "البنبي"[1] الجالس عليه، ويأمرونه بفعل الخير وأتباع سيرة من سَبَقَهُ إليه من السلاطين[2].

أما في مجال العمارة لم يهتم ابن بطوطة بدور العامة في البلاد التي زارها، واقتصر حديثه عن بعض المنازل البسيطة عند مروره ببلاد بردامة، أين يقيمون أعود من الخشب يضعون عليها الحصر، وفوق ذلك أعواد مشتبكة، وفوقها الجلود أو ثياب القطن[3]، بعكس وصفه لقصور سلاطين مالي وأمرائها. حيث ذكر القصر الذي بناه أبو إسحاق الساحلي في **نياني** عاصمة المملكة الذي ضم قاعة كبيرة لمجلس السلطان وقبة مرتفعة لها طيقان مثلما سبق ذكره عند وصفنا لمجلس السلطان، التي هي على شاكلة قصور مراكش وغرناطة.

4-2- العادات الحسنة والسيئة:

سجل ابن بطوطة في بلاد السودان عادات حسنة تبنيء عن التأثر بتعاليم الإسلام، وعلى نقيض من ذلك عادات أخرى لا تمت للإسلام بصلة عند هذه الشعوب الأفريقية.

أ- العادات الحسنة:

عَدَّدَ ابن بطوطة أفعال أهل السودان الحسنة فذكر منها: قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه، وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه ولو كان من ولاته المقربين؛ وشمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من قطاع طرق إذ لاحاجة للمسافر من رفقة لأمن الطريق؛ وكذا عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة، إنما يتركوه بيد ثقة من المسلمين المقيمين حتى يأتي ويأخذه من يستحقه[4] .

---

[1]- **البنبي**: مجلس أخر لسلطان مالي يستعمله أثناء الأحتفالات، وهو عبارة عن مصطبة تحت شجرة لها ثلاثة درجات، تفرش بالحرير، وتجعل المخاد عليها مزينة بطائر من ذهب على قدر الباز؛ ينظر: ابن بطوطة: المصدر السابق، ص400 .

[2]- نفسه، والصفحة .

[3]- نفسه، ص405؛ بينما نجد **الحسن الوزان** أثناء زيارته لتنبكتو في أوائل القرن 10هـ/16م يشير إلى أن بيوتها عبارة عن أكواخ مبنية بأوتاد مملوطة بالطين ومغطاة بالقش؛ ولكن يوجد بالمدينة مسجدا فخما جدارنه من حجر الكلس، وفيها قصر فخم بناه نفس المعلم (يقصد به الساحلي)؛ ينظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 540 .

[4]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص401؛ النوري: المرجع السابق، ص 270 .

إضافة للأتزامهم بأداء الصلوات جماعات وفي وقتها المحدد، وتعظيمهم لدار الخطيب التي كانت ملجأ للفارين من سخط السلطان إذا أذنب أحدهم ذنبا كبيرا في عُرْفِهِمْ وحُرمة داره تضاهي حرمة المسجد فيستجيرون بها حينما يتعذر عليهم دخول المسجد[1].

ب- العادات السيئة:

ومن مساوئ الأفعال التي أستقبحها ابن بطوطة، أن الجواري والبنات الصغار بمن فيهن بنات السلطان كن يظهرن للناس عرايا باديات العورات دون حشمة، ويدخلن قصره في شهر رمضان على تلك الهيئة؛ وأن بعض السودان يجعلون التراب والرماد على رؤوسهم تأدبا لسلطانهم في أحترام مبالغا فيه يصل إلى درجة إذلال النفس البشرية؛ وما ذكر في أحتفالية العيد من الأضحوكة في إنشاد الشعر، وكانت هذه الممارسات والعادات منتشرة قبل الإسلام واستمرت بعده[2].

إضافة لتعظيم شأن المرأة عند بربر مسوفة في أيوالاتن، في عدم غيرة رجالهم على نساءهم بأتخاذ كل جنس لصواحب وصاحبات بمن فيهم القاضي نفسه، الذي لاحظ ابن بطوطة تواجد فتاة معه في داره ليست بزوجته[3]؛ وفوق هذا كله أن السودان الوثنيين يأكلون لحم الجيف والكلاب والحمير، وهذا إن دلَّ فإنما يدل على تباين المستوى المعيشي بين حياة الترف التي كانت تعيشها الطبقة الحاكمة وأعوانها، وما كانت عليه الطبقات الدنيا من عوز وحاجة[4].

ومن الغرائب التي وقف عندها ابن بطوطة وأستنكرها ما كان من سلطانهم منسا سليمان لَمَّ شكت له زوجته الثانية "بنجو" ما بَدَرَ من بنات عمه أتجاهها، فكان عقابه لهن بالدخول عليه لمدة سبعة أيام عرايا حتى يرضى عليهن[5]، وإن صح هذا القول فإننا لنعجب أشد العجب أفلا يكون رضى السلطان إلا بما حرمه الله سبحانه وتعالى[6] .

---

[1]- أحمد شكري: المرجع السابق، ص211 .

[2] - ابن بطوطة: المصدر السابق، ص402؛. NehemiahLevtzion:Op. cit, P.194

[3]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ص392؛ محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديه: المرجع السابق، ص163

[4]- علي طرخان: المرجع السابق، ص164.

[5]- شكت زوجة السلطان منسا سليمان الثانية بنجو له من سوء معاملة بنات عمه لها، عند دخولهن عليها لتهنيئتها بالمملكة فجعلن الرماد على أذرعهن ولم يتربن رؤوسهن كالمعتاد، فتوعد السلطان بنات عمه بالعقاب الشديد فخفن منه وأستأجرن بالجامع وهي عادة عندهم، فَسَلِمْنَ من شَرِّهِ وعفا عنهن بهذه الطريقة؛ ينظر: ابن بطوطة، المصدر السابق، ص401

[6]- الفيتوري: المرجع السابق، ص284.

ويتبين لنا أن مجتمع السودان الغربي كان مجتمعا بدويا تسوده البساطة ويطغى عليه طابع الجهل قبل الإسلام، لذلك فكان من الطبيعي أن تكون معظم العادات والتقاليد قبلية بدوية بالمعنى العام لهاتين الكلمتين حتى بعد انتشار الإسلام بين أهله وأحتضانهم له .

إن الصورة التي نقلها الرحالة ابن بطوطة عن بلاد السودان الغربي في (ق 8هـ/14م) كانت تأكيدا وإضافة لكتابات سابقة لرحالة عرب تناولوا تاريخ هذه المنطقة، خصوصا ما تعلق منها بالجوانب السياسية والإقتصادية والإجتماعية، متمثلة في الثروات والمعادن النفيسة التي كانت تمتع بها هذه البلاد، إضافة للعلاقات المتينة التي ربطت مملكة مالي بالعالم الإسلامي في شتى جوانب ومجالات الحياة، بداية من نظم الحكم المستوردة من بلاد المشرق، وانتشار العدالة الإجتماعية داخل أفراد المجتمع الواحد، بتطبيق الأحكام القضائية عن كل فرد تخطى الحدود المسموح له بها كيفما كانت مكانته أو صلته بالبيت الحاكم، مرورا بطبيعة المعاملات التجارية القديمة المتجددة بتعدد أشكالها وأنواعها، والتي كانت قبل الإسلام وزادها الإسلام تنظيما بعد انتشاره بين القبائل الأفريقية، وصولا للعلاقات الدينية والثقافية أين لاحظنا تمسك الأفارقة بالدين الإسلامي رغم ما شابه من عادات وثنية بين قبائله، وبوجود العديد من العلماء المغاربة الذين استوطنوا هذه البلاد واشتغلوا بمهن مختلفة من تجارة وتعليم القرآن وإمامة المساجد وتولي مناصب القضاء في المجالس السلطانية، فكانت كتاباته عن المنطقة في مجملها تصريحا منه عن تأثير وتأثر شعوب غرب أفريقيا جنوب الصحراء بالعالم الإسلامي خصوصا في بلاد المشرق والمغرب الإسلاميين .

الخاتمــــــة

الخاتمة:

بعد دراستنا لموضوع أفريقيا جنوب الصحراء في كتابات الرحالة المسلمين في العصور الوسطى"ابن بطوطة أنموذجا"، وصلنا إلى العديد من النتائج المهمة التي من شأنها إزالة اللّبس عن هذه المنطقة من العالم الإسلامي، والتي شهدت في (ق8هـ/14م) ثورة حضارية حقيقية في شتى المجالات والميادين، نذكر منها الآتي:

- قدمت الدراسة تعريفا شاملا بالرحالة ابن بطوطة ورحلاته عامة، خاصة كتاباته حول أفريقيا جنوب الصحراء في القرن 8هـ/14م .
- يعتبر الرحالة العرب بمن فيهم ابن بطوطة المصدر الأول في التعريف بمنطقة أفريقيا جنوب الصحراء من خلال كتاباتهم التي تناولت تاريخ وجغرافية وشعوب هذه المنطقة بصفة عامة ودقيقة .
- أبرزت الدراسة عن مدى تأثر حكام سلطنات وممالك أفريقيا جنوب الصحراء بالعالم الإسلامي في بلاد المشرق والمغرب، من خلال توريث الحكم في أفراد البيت الواحد، وحرص السلاطين على تطبيق تعاليم الإسلام بانتشار العدل في أرجاء البلاد، وتشابه المراسيم السلطانية بتقديم أهل العلم والفضل في المجالس عن غيرهم، خصوصا القاضي الذي نال مكانة رفيعة وعالية في المجتمع .
- أبانت الدراسة عن مدى التقدم والإزدهار الإقتصادي الذي شهدته هذه البلاد الأفريقية، بفضل ما نعمت به أراضيها من خيرات فلاحية وثروات معدنية هائلة، ساهمت في ظهور بعض المراكز التجارية البحرية في كلا من زيلع ومقديشو وكلوه على الساحل الأفريقي الشرقي، وأخرى صحراوية في كلا من سجلماسة وتغازا وولاته ونياني عاصمة مملكة مالي وتنبكتو... لترويج هذه السلع التجارية للعالم الخارجي والعربي على الخصوص .
- اهتمت الرحلة بعادات وتقاليد الشعوب الإسلامية الأفريقية، خصوصا ما تعلق منها بالجانب الديني بالحفاظ على أداء الشعائر الدينية جماعات، والإعتناء بالقرآن الكريم من خلال تعليمه للصغار مع التشديد على حفظه، وإقامة لذلك دورا خاصة بتعليم طلاب العلم أسس الدين الصحيح .
- تباين مدى فهم الإسلام الصحيح بين شعوب القارة في شرقها المحافظين لاتصالاهم المباشر بأرض الحجاز ومصر، وغربها الذي طغى على إسلامهم الوافد عادات وثنية قديمة استمرت حتى بعد الإسلام، من عري وأختلاط وأكل لحم الجيف ... في صورة لا تمت للإسلام بصلة .

– اهتمت كتابات ابن بطوطة بحياة السلاطين اهتماما بالغا دون غيرهم من عامة الشعب، وتفضيله من السلاطين أولئك الذين ينعمون عليه بالعطايا والهدايا، وأحتقار من كان منهم عطاءه قليل، كأحتقاره لسلطان مالي منسا سليمان .

– أوضحت الرحلة عن مدى عمق العلاقات العربية الأفريقية في شتى الميادين الحضارية، حيث أن الفضل الأول والأخير للتقدم الذي شهدته هذه الشعوب الأفريقية يعود للعرب الذين لعبوا أدوارا بارزة في هذه المنطقة قبل الإسلام، وبعد الإسلام زادها عمقا وتجذرا .

وخلصنا من خلال هذه الدراسة لمجموعة من التوصيات التي نأمل أن تجسد مستقبلا في أعمال أفضل بإذن الله عن هذه الرحلة التي ما زالت تضم في جوانبها أسرارا تحتاج إلى دراسة أعمق خاصة إذا علمن أنها تناولت فترة مميزة من تاريخ أفريقيا الحضاري الإسلامي:

– زيادة اهتمام الباحثين في الشان الأفريقي العربي بالرحلة وما أحتوته من معلومات ثمينة عن حجم العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى .

– تخصيص دراسات معمقة عن هذه الرحلة خصوصا ما تعلق منها بالجانب الثقافي، ففي الرحلة شواهد كثيرة عن علماء عرب شغلوا مناصب حساسة في البلاط الأفريقي .

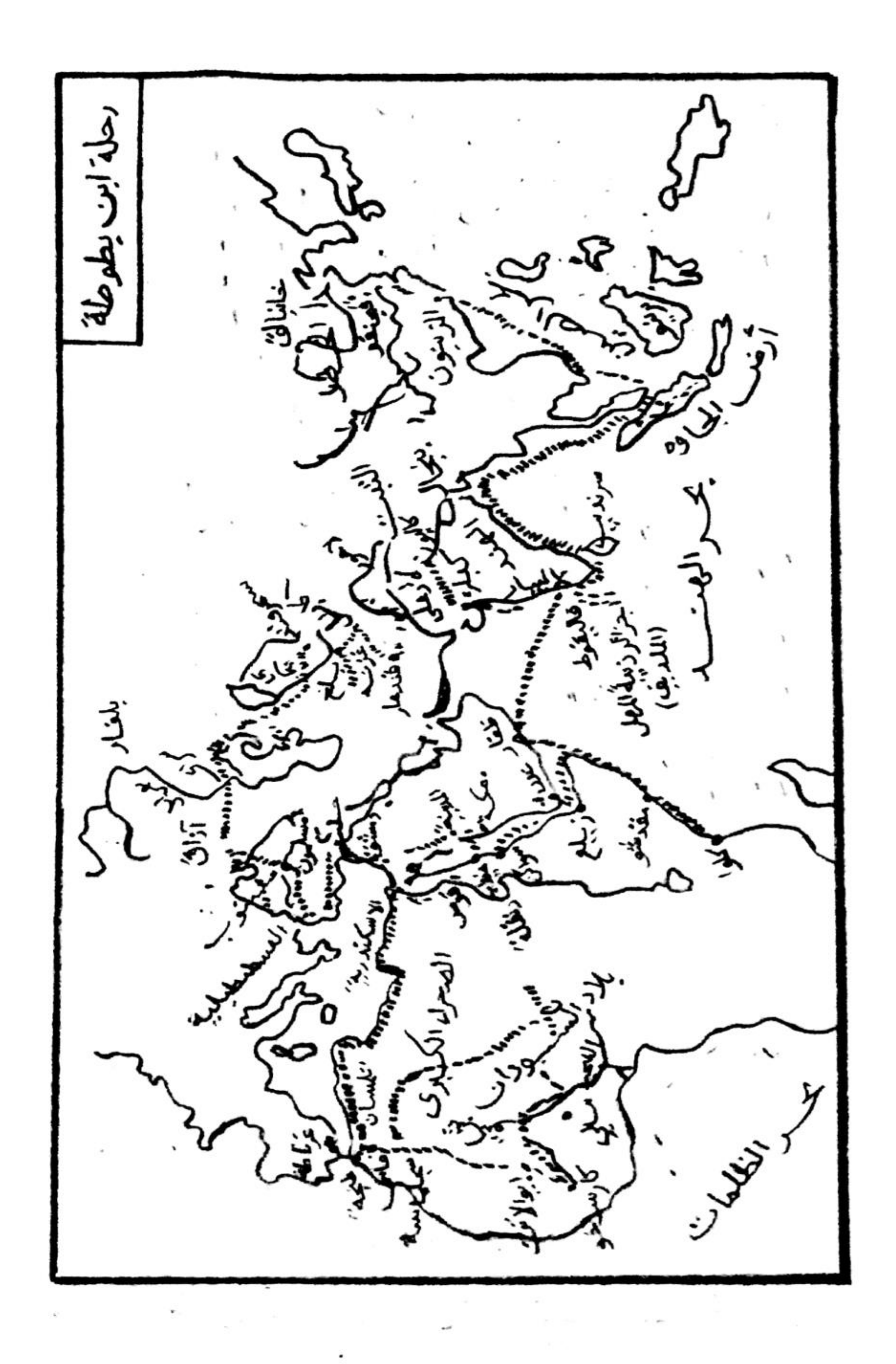
– إعطاء رحلة ابن بطوطة لشرق أفريقيا جنوب الصحراء مزيدا من الإهتمام كرحلته لغرب أفريقيا، التي اجريت فيها دراسات كثيرة ومعمقة في مختلف جوانب الحياة .

– تخصيص دراسات مستقبلية حول حقيقة رحلة ابن بطوطة للسودان الغربي التي ظلت في حد ذاتها نكرة، وإن رجحت معظم الدراسات أنها كان مسطرا لها مسبقا مع السلطان المريني أبو عنان بسبب الأزمة التجارية التي عانى منها المغرب المريني في (ق8هـ/14م)؛ غير أن الدارس لمحتوى هذه الرحلة لايكاد يجزم ذلك الإعتقاد من خلال ما يلاحظه من تذمر الرحالة في عديد المرات وعزمه الرجوع إلى وطنه بسبب سوء المعاملة التي كان يتلقاها من ولاة الأقاليم؛ لكن حبَّ الرحلة والإستكشاف كان حاجزا في عدم رجوعه إلى موطنه إلا بعد لقائه لسلطان مالي .

الملاحــــــــــق

الملحق رقم 01:

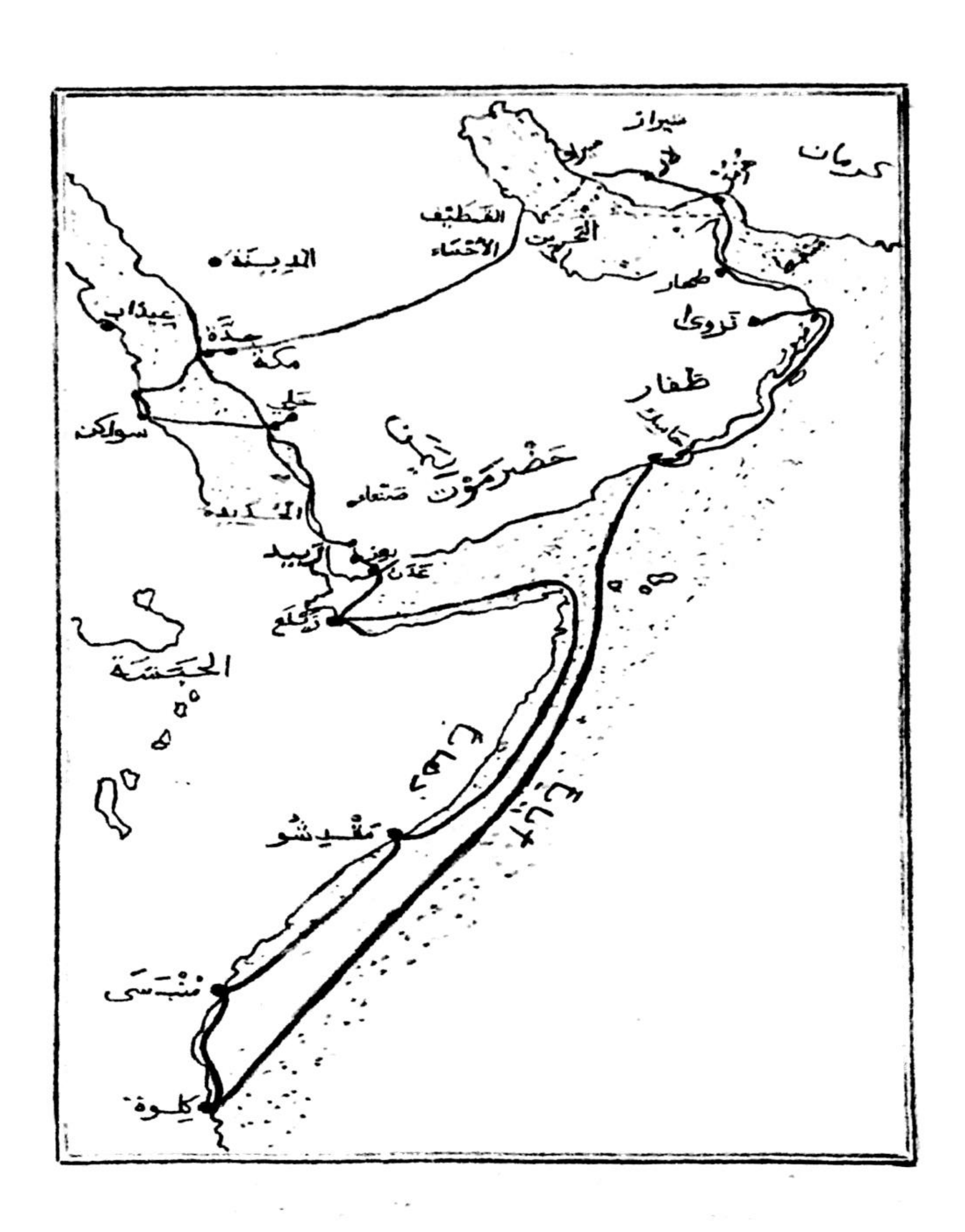
خريطة توضح مسار رحلة ابن بطوطة[1]



[1] – ابراهيم العدوي: المرجع السابق، ص153

الملحق رقم 02:

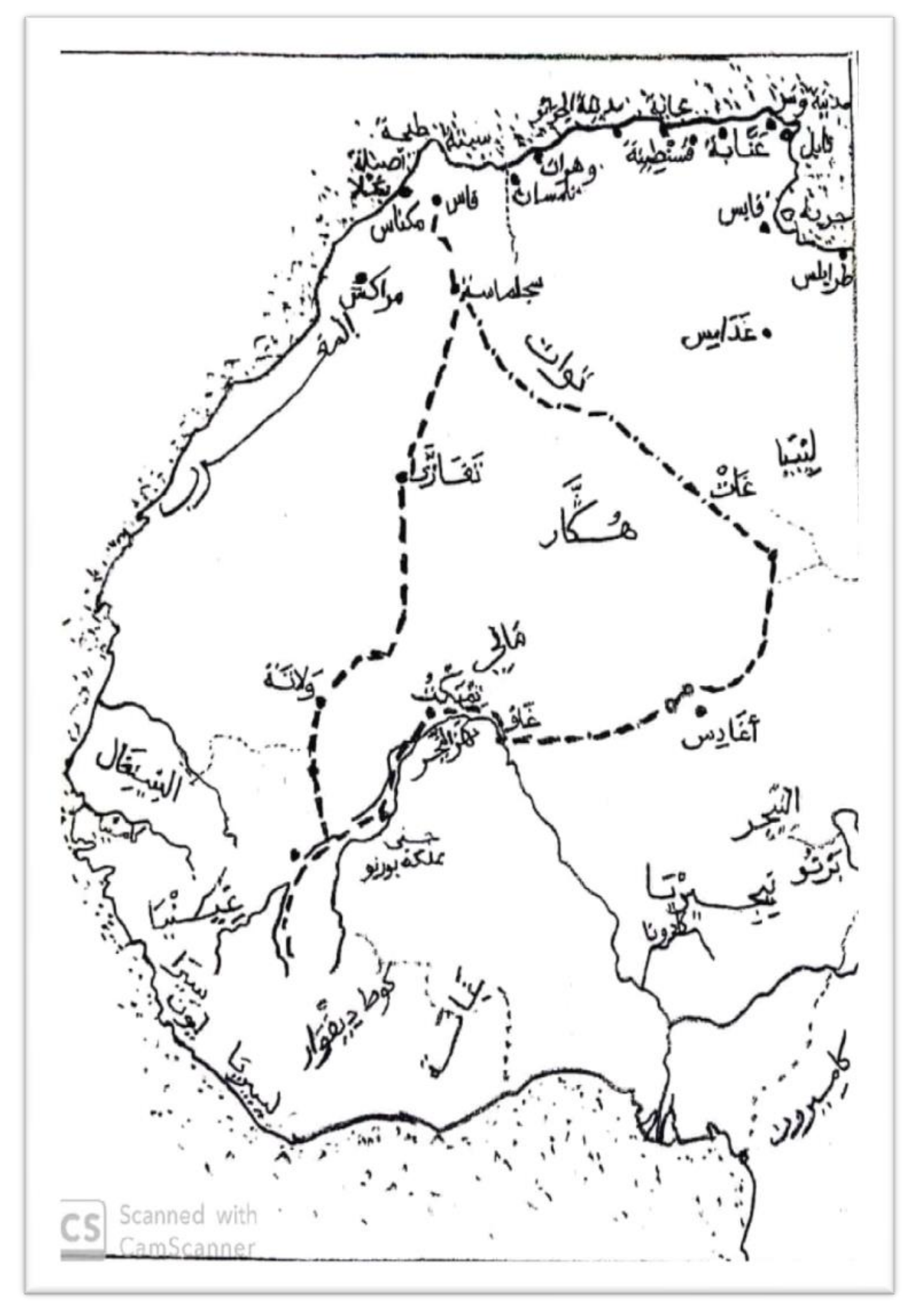
خط سير الرحلة إلى شرق أفريقيا جنوب الصحراء ومحطاتها[1]



– ابن بطوطة: الرحلة، المصدر السابق، ج2، ص95.[1]

الملحق رقم 03:

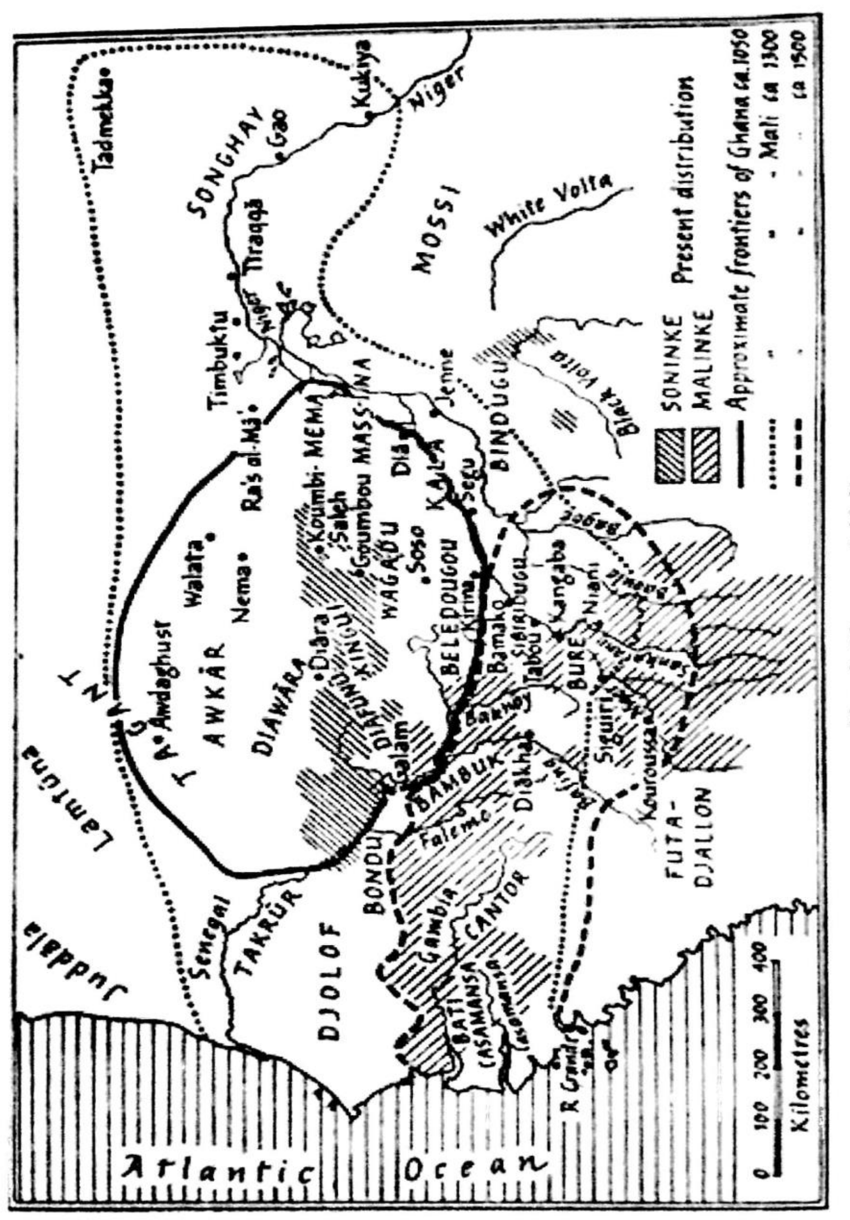
خط سير الرحلة إلى غرب أفريقيا جنوب الصحراء ومحطاتها الرئيسية[1]



- ابن بطوطة، المصدر نفسه، ج4، ص237.[1]

الملحق رقم 04:

الحيز الجغرافي للمملكة مالي الإسلامية ما بين (1300-1500م)[1]



Map I. Ghana and Mali



[1] - Nehemia Levtzzion: Op, Cit,p15.

الملحق رقم 05 :

حدود مملكة مالي الاسلامية حسب الدكتور النوري دريد عبد القادر[1]



– النوري دريد عبد القادر: المرجع السابق، ص142 .[1]

الملحق رقم 06:

طرق المواصلات الصحراوية بين العالم الإسلامي والسودان الغربي، وأهم السلع التجارية المتبادلة[1]

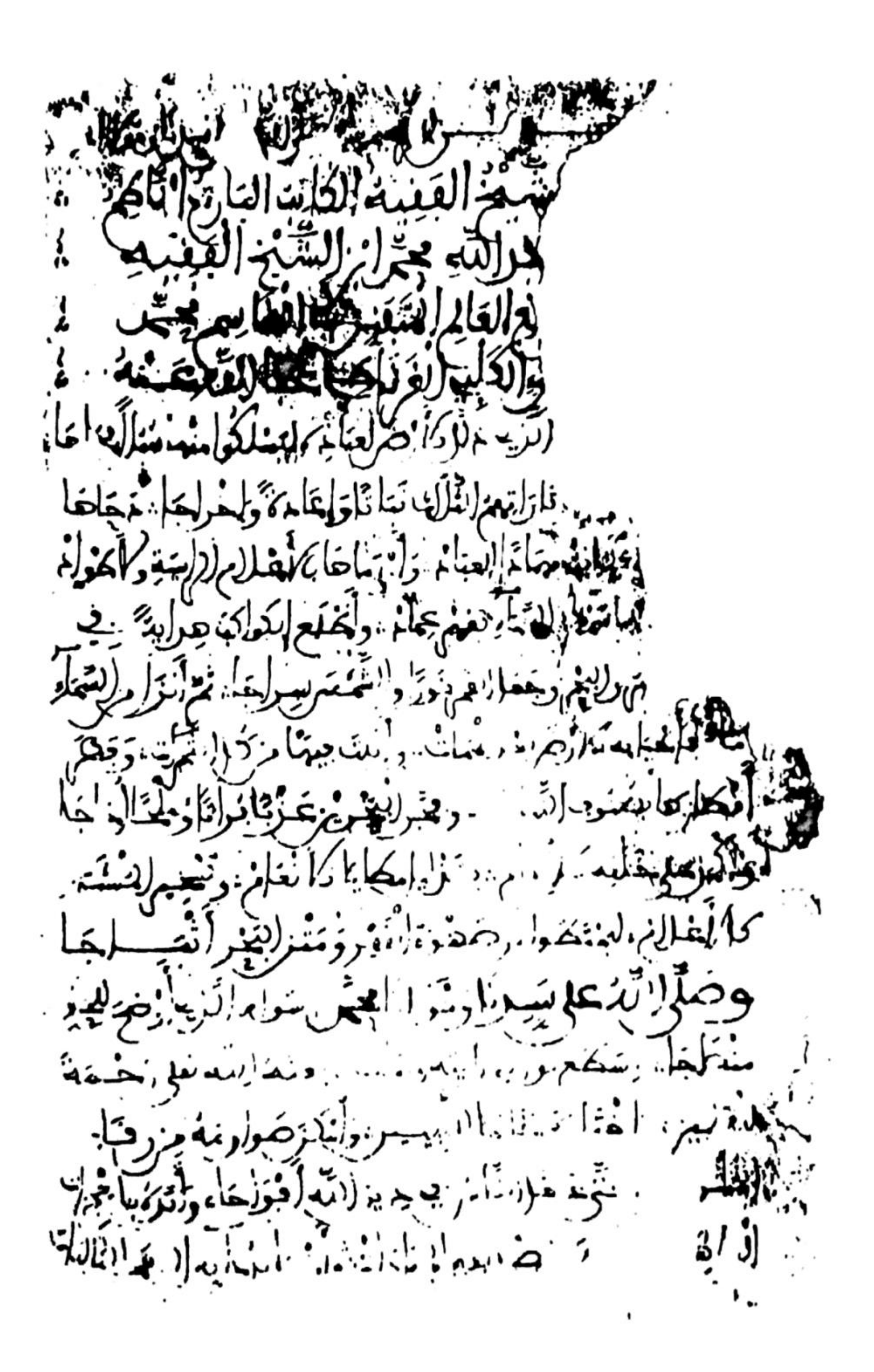


---

[1] – النوري دريد عبد القادر، المرجع السابق، ص137.

الملحق رقم 07:

الورقة الأولى من مخطوط الخزانة الملكية لرحلة ابن بطوطة [1]



الورقة الأولى من مخطوطة الخزانة الملكية (الخزانة الحسنية) رقم 8488، وتعتبر في صدر النسخ الموثوقة وربما كانت بخط ابن جزي

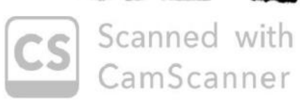
[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص21.

الملحق رقم 08:

رسالة من لسان الدين ابن الخطيب لابن بطوطة قاضي أقليم تامسنا[1]

لتعلم سيادة القاضي شمس الدين معلم الجوانب الحسبية والبادي من أبقاها الله
تحاكي الشمس في الجولة وظهور الصولة والحكم على الدولة وإصلاح حال العولة أمر موجب
حقها وشأنه من فيها والعائد بجمعها من فيها لما انتبه وانقطع وانقطع من جانب العزلة
والتحلي ما انقطع وقد لاح نور الرضا بلقاء الله وسطع أملا أن يكون بحقه ومن الراحة حتى
تنه من الجراحة وإن أعوز المعاش اختذيت الفلاحة وتحزن في البقع بقعة يؤنس بها
جوار كريم ويومن حيف غريم أو لد غريم فلم يقع الاختيار إلا على البقعة التي لها الفضل
بسكنى شمس الدين بين جنزاتها ووقوف ركائب الاستعادة بين توضيحها ويغرانها بالتزمت
وارتبطت واخترت واغتبطت ووجهت ثقتي لشراء ما يعين على الدهر ويستعد للفلاحة
والبقر وحولها أن يخرج يومه من تتبع شونه ويحاول زرقه فيصرف فيه قومه وعندي أن القاضي
إذا تحقق أن جواره هو المطلوب لأولي الفضل الذي عليه المعول يتعين معه الغرض سرور
الذي لا يتأول وينتفع مشاركته بكل وجه من وجوه الإعانة بمقتضى الفضل والديانة حتى
يحصل ببركته ثمرة الفلاحة حسنا وثمرة الفلاح معنى وتعتضد للزيادة والحسنى ويأنس
بهذه اللبنة من فضله المبنى ويدعو التمعشر في جواره إلى العشرة والسكنى والتمتع بفضله
الأسنى ومن ثبت مثله إلى فضل يقدم نعم كفيلا وجنح إلى بيت مثله أثار مجدا أصيلا وفرعا
جليلا وما يصدر عن محله من وقف الظن به مقابل من الثناء بأجمل صورة ومن المجد بأعز
سورة والسلام

خطاب لسان الدين ابن الخطيب لصديقه شمس الدين ابن بطوطة قاضي تامسنا - نسخة خاصة.



[1] – ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص82

الملحق رقم 09:

صورة أفتراضية للرحالة العربي ابن بطوطة[1]



[1]– محمود الشرقاوي: المرجع السابق، الواجهة الخارجية.

الملحق رقم 10: صور لمؤلفات حول الرحالة ابن بطوطة[1]



[1] ينظر: حسين مؤنس: ابن بطوطة ورحلاته؛ ومحمد فتحي عبد العزيز: ابن بطوطة في بلاد السودان؛ وإبراهيم العدوي: ابن بطوطة في العالم الاسلامي، ومحمود الشرقاوي: رحلة مع ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وأفريقيا، (صور الواجهات).

القائمة

البيبليوغرافية

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أولا: المصادر.

1)الإدرسي، محمد بن محمد بن عبد الله الحسني: نزهة المشتاق في إختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة، 1422هـ/2002م .

2)ابن بطوطة، عبد الله اللواتي الطنجي: رحلة ابن بطوطة، ط4، دار صادر، بيروت، 2011م.

3)ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، تح: عبد الهادي التازي، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، 1997م.

4)البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز: كتاب المسالك والممالك، حققه وقدمه له: أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992

5)الدمشقي، شمس الدين محمد أبي طالب الأنصاري: تحفة الدهر وعجائب البر والبحر، طُبع في مدينة بطرسبورغ، 1865م.

6)الوزان، الحسن بن محمد: وصف أفريقيا ، تر: عبد الرحمن حميدة، مكتبة الأسرة المصرية، القاهرة، 2005م.

7)ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، د.م، د.ت.

8)الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت.

9)الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر، بيروت،1980م

10)ابن حوقل،أبو قاسم محمد النصبي: صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

11)اليعقوبي، أحمد بن إسحاق: تاريخ اليعقوبي، تقديم: محمد صادق بحر العلوم، منشورات الحيدرية، النجف، 1964م.

12)كعت، محمود بن الحاج المتوكل التنبكتي: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ووقائع التكرور وعظام الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، ط:هوداس، باريس، 1964م.

13)المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن: مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة :كمال حسن مرعي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، 2005م.

14)المغيري، سعيد بن علي: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تح: محمد علي الصلابي، ط4، د.م، 2001م.

15)المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مطبعة مدبولي، القاهرة، 1991م.

16)المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: الإلمام بأخبار من حل بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، مطبعة التأليف، مصر، 1895م.

17)المنجم، إسحاق بن الحسين: أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تح: فهمي سعيد، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1988م.

18)مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م.

19)السملالي، العباس بن إبراهيم: الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1999م.

20)السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران: تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، 1981م.

21) العمري، أحمد بن يحي بن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

22)القزويني، زكرياء بن محمد: أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت.

23)القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري: كتاب الصبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م.

24)التونسي، محمد بن عمر: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تح: محمد عساكر ومصطفى سعد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965م.

25)ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1975م.

26)ابن خلدون، عبد الرحمن: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م.

27)ابن خلدون: المقدمة، تح: أحمد الزعبي، دار الهداية، عين مليلة، 2009م.

ثانيا: المراجع العربية :

1)أحمد رمضان أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، د.ت.

2)أرنولد، توماس: الدعوة إلى الإسلام، تر، حسن إبراهيم وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م .

3)باريه محمد فاضل علي وكرديه سعيد إبراهيم: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

4)بازينة، عبد الله سالم: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، ط1، منشورات جامعة 7 أكتوبر، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2010م.

5)بوفيل: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر، الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، ط2، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988م.

6)الدالي، الهادي مبروك: مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا من القرن 13-15م، تقديم، محمد رزوق، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2001م.

7)الدالي، الهادي مبروك: التاريخ السياسي والإقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18م، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1999م.

8)الدفاع، علي بن عبد الله: رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والإسلامية، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، 1993م.

9) زبادية، عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في أفريقيا الغربية جنوب الصحراء، (دراسات ونصوص)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م

10)زيادة، نقولا: الجغرافيا والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987م.

11)زيادة، نقولا: أفريقيات، ط1، رياض الريس، لندن،1991م.

12)حامد رؤوف عباس: العرب في أفريقيا، دار الثقافة العربية، كلية الأدب، جامعة القاهرة، 1987م.

13)حسن زكي محمد: الرحالة السلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م.

14)حميدة، عبد الرحمن: أعلام الجغرافيين العرب، ط1، دار الفكر العربي، دمشق، 1995م.

15)طرخان، إبراهيم علي: دولة مالي الإسلامية، دار الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1973م.

16)كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر، صلاح الدين عثمان، مراجعة إيغور يلياف، جامعة الدول العربية، 1975م.

17)لوتورنو، روجيه: فاس في عصر بني مرين، تر، نقولا زيادة، مكتبة لبنان، 1967م.

18)محمود حسن عبد الرحمن: الإسلام والمسيحية في شرق أفريقيا من القرن 18 إلى القرن 20م، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011م .

19)مؤنس، حسين: ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، القاهرة، 1980م.

20)النقيرة، محمد عبد الله: انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له، دار المريخ للنشر، الرياض، 1982م.

21)النوري، دريد عبد القادر: تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، جامعة الموصل، 1985م.

22)عثمان عبد القوي شوقي: تجارة المحيط في عصر السيادة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1990م.

23)العدوي، إبراهيم: ابن بطوطة في العالم الإسلامي، دار المعارق، القاهرة، 1954م .

24)عبد العزيز، محمود فتحي: ابن بطوطة في بلاد السودان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2017م.

25)العوامري أحمد بك والمولى أحمد جاد بك: مهذب رحلة ابن بطوطة، مطبعة الأميرية بيولاق، وزارة المعارف، القاهرة، 1937م .

26)الفيتوري، عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة أنتشار الإسلام)، ط1، دار الكتب الوطنية ، بنغازي، 1998م .

27) فياض، سليمان: ابن بطوطة رحالة الإسلام، ط1، مركز الأهرام لترجمة والنشر، القاهرة، 1991م .

28)أبوصبر، عبد الرزاق: تاريخ الغرب الإسلامي من خلال جغرافيات مشرقية مؤرخة قبل القرن 5هجري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م .

29)قاسم، جمال زكريا: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م .

30)قداح، نعيم: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مراجعة عمر الحكيم، كوناكري، د.م، د.ت .

31)الشاهدي، الحسن: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، الرباط، د.ت .

32)الشرقاوي، محمود: رحلة مع ابن بطوطة من طنجة إلى الصين والأندلس وأفريقيا، مكتبة الأنجلو مصرية للطبع والنشر، القاهرة، 1968م .

33)الشكري، أحمد: الإسلام والمجتمع السوداني في إمبراطورية مالي، ط1، المجمع الثقافي، أبو ظبي ، 1994م .

34)غيث، مطير سعد: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دار المدار الإسلامي، د.ت.

35)غيث مهندس فتحي: الإسلام والحبشة عبر التاريخ، مكتبة النهضة المصرية، د.ت.

ثالثا: المراجع الأجنبية

1) - David C. Conrad: Empiers Of Medieval West Africa Ghana, Mali, and Songhay, new York, 2005 .

2) - Freeman, G: the history of the east African Coast, 1966.

3) - Freeman, G: Select Doucement On the East African Coast from the firstto the earlier Ninecteem the, Oxford, 1963 .

4) - NehemiahLevtzion: ANCIENT GHANA AND MALI, SmithsonianIstitution Libraries, London. 1973.

5) - the British Museum: The wealth of Africa The kingdom of Mali, Great Russell Street, London, 2010.

رابعا: المقالات المنشورة في الدوريات .

1)كانون عبد الله: "ابن بطوطة"، (مجلة المجمع العلمي)، دمشق، 1965م.

2)المنوني محمد: "ابن بطوطة"، (مجلة دعوة الحق)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1978م.

3)نصر علي منصور: "العرب وأنتشار اللغة العربية في أفريقيا الشرقية في العصور الوسطى"، (مجلة البلقاء للعلوم الإنسانية والإجتماعية)، البحرين، 2011م.

4)العراقي، السر سيد أحمد: "معالم الحضارة الإسلامية في ساحل شرق أفريقيا"، (مجلة دراسات أفريقية)، القاهرة، 1986م.

5)زكي، عبد الرحمن: "الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا_"، (المجلة التاريخية المصرية)، ع21، مصر، 1974م.

خامسا: القواميس والمعاجم .

1)ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1997م.

سادسا: الموسوعات والأطالس.

1) مسعد، محمد مصطفى: الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية السعودية، 1419هـ.

2) ماكيقيدي كولين: أطلس التاريخ الأفريقي، تر: مختار السويفي، مراجعة: محمد الغربي موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987 .

3) عكاوي، رحاب خضر: موسوعة عباقرة الإسلام في الطب والجغرافيا والتاريخ والفلسفة، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1993م .

4) الشنواني، محمد أحمد: موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الإسلام، ط1، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، 2007م .

سابعا: الإطروحات ورسائل الماجستير .

1) حياة السيد، عبد الرحيم: مملكة كلوه الإسلامية ودورها السياسي والإجتماعي في شرق إفريقيا، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان، الخرطوم، 2011م.

2) محمد الحاج، إمتثال الأمين: أثر التجار المسلمين في إنتشار الإسلام و الثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا حتى القرن 16م، رسالة ماجيستر، جامعة الخرطوم، 2006م.

3) سايبو، دجيبو: تاريخ السودان الغربي في نظر ابن بطوطة وابن خلدون، رسالة ماجستير، جامعة الزيتونة، (تونس، 2002م).

ثامنا: التظاهرات والملتقيات العلمية :

1) نشاط، مصطفى: البعد التجاري في رحلة ابن بطوطة، ندوة ملتقيات ابن بطوطة الدولية للتواصل بين الثقافات، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، طنجة، 1993م .

تاسعا: المراجع الإلكترونية:

1) مسعود خالدي: "أبو إسحاق الساحلي الأديب والمهندس المعماري وأثره في نشر فن العمارة الإسلامية بالسودان الغربي"، مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والإجتماعية .www.asjp.cerist.dz.com

2) سلطنة كلوه الإسلامية: (موقع الموسوعة الإسلامية)، .www.islambeacom.com 16-04-2015م.

3) العراقي، السر سيد أحمد: "الأفريقيون ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية"، (موقع مجلس الشباب العربي)، www.aaycouncil.orag.com . 19.04.2016م .

الفهـــــارس

فهرس السور القرانية

فهرس الأعلام

فهرس القبائل والشعوب

فهرس البلدان والأماكن

نستثني من هذه الفهرسة أسماء السودان وأفريقيا لتعدد أستعمالها في صفحات البحث

فهرس الموضوعات رقم الصفحات

الملخص:

أفريقيا جنوب الصحراء في كتابات الرحالة المسلمين في العصور الوسطى- ابن بطوطة أنموذجا - هو موضوع دراساتنا حول المظاهر الحضارية في منطقة أفريقيا جنوب الصحراء في القرن 8هـ/14م، من خلال مشاهدات وكتابات الرحالة العربي ابن بطوطة، عن سلطنتي مقديشو وكلوه الإسلاميتين في شرق أفريقيا، ومملكة مالي الإسلامية في غرب أفريقيا في شتى مجالات وميادين الحياة السياسة والإقتصادية والإجتماعية، التي أبرزت الثراء، والتقارب، والتأثر الأفريقي بالعالم الإسلامي في بلاد المشرق والمغرب سواء في نظم الحكم والإدارة، أو في المعاملات التجارية، وحتى في الحياة الدينية من خلال الإهتمام بتعاليم الدين الإسلامي، وأنتشار الثقافة العربية بتواجد العنصر العربي في المجتمع الأفريقي الذي كان له الأثر البارز في هذا التقدم الحضاري .

الكلمات المفتاحية:

(ابن بطوطة، أفريقيا جنوب الصحراء، السودان، المغرب، مصر، أفريقيا، مقديشو، كلوه، منسا سليمان، منسا موسى، العرب) .

Absract:

The sub saharan african in Muslum‘s written in the meedle age -ibn battuta model- is the subject of our study about civilisaton aspects in sub saharan africa in the 8th century/14 AD. Through the observation and writings of the arabic travelers ibn battuta aboute twa islamic empires mokadishu and kalwah. East african islamists. And the islamie kingdom of mali west african in various sphers and fields of political ecoomic and social life which showed the rivhness and the islamic world in the countries of the orient and Maghreb islamic both in governance and management sustem or in comercial transactions and even in religious life by the spredd of arabic culture in the african society withe the presence of arab element that affected this civilization progress .

Keywords:

(Ibn Battuta, sub saharan african, Sudan, Maghreb, Egypt, Africa, mokadishu, kalwah, Mansa Suleiman, Mansa Moses, Arabs) .